مجلة شهرية

Issue No: 197 عدد:

January 2024 شهر كانون ثاني

نور المسيح

ΦΩΣ

يسوع المسيح الغالب

ΧΡΙΣΤΟΥ

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

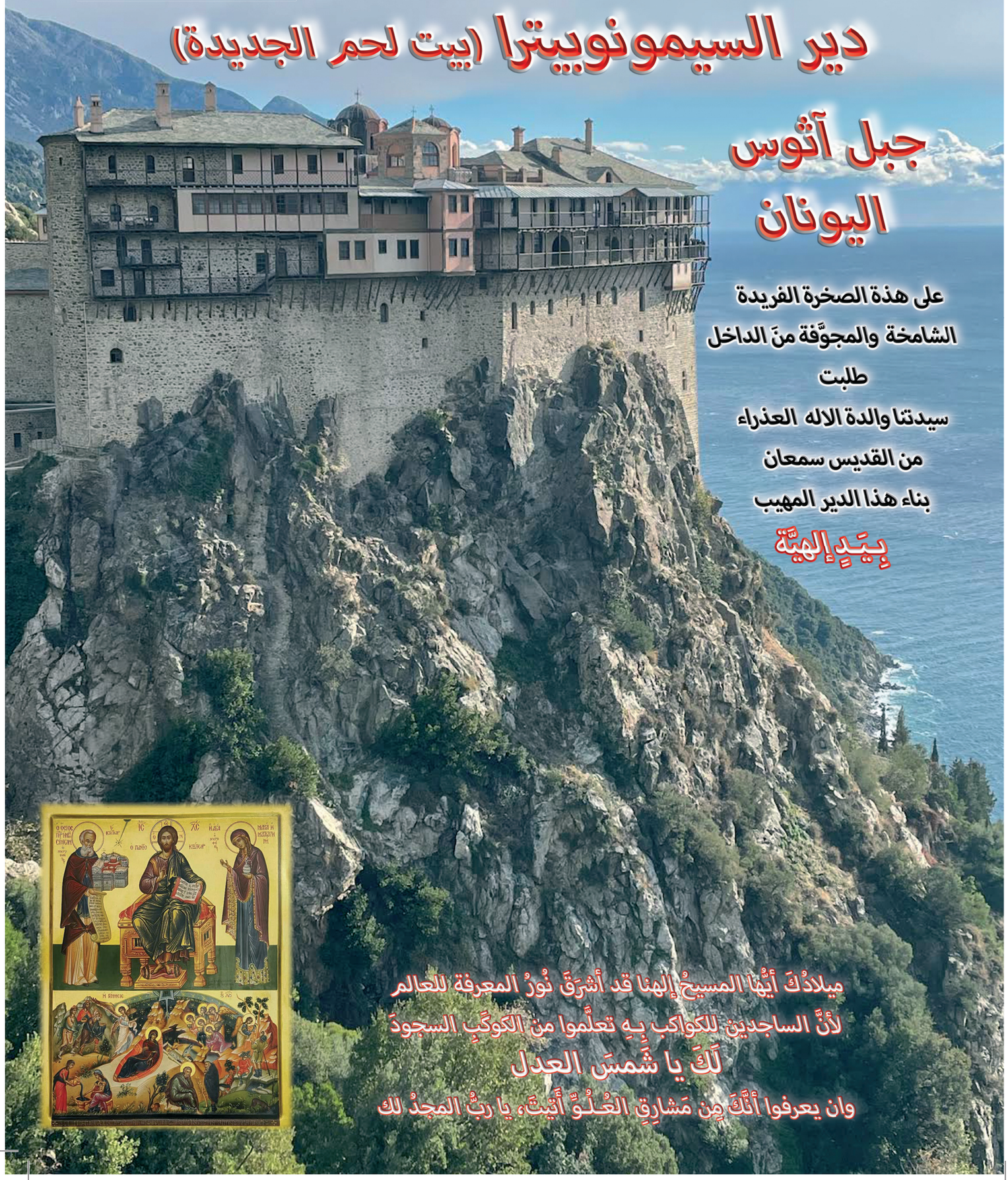

دير السيمونوبيترا (بيت لحم الجديدة)

جبل آثوس اليونان

على هذة الصخرة الفريدة
الشامخة والمجوَّفة منَ الداخل
طلبت
سيدتنا والدة الاله العذراء
من القديس سمعان
بناء هذا الدير المهيب
بِيَدٍ إلهيَّة

ميلادُكَ أيُّها المسيحُ إلهنا قد أشرَقَ نُورُ المعرفة للعالم
لأنَّ الساجدين للكواكب بِهِ تعلَّموا من الكوكَبِ السجودَ
لَكَ يا شَمسَ العدل
وان يعرفوا أنَّكَ مِن مَشارِقِ العُلُوِّ أَتيتَ، يا ربُّ المجدُ لك

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم

كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث

بمناسبة الاحتفال بعيد ميلاد ربّنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح بالجسد، في مدينة بيت لحم

(٢٥ كانون أوّل شرقي ٢٠٢٢، الواقع في ٧ كانون ثاني غربي ٢٠٢٣)

«لتبتهجنَّ السماءُ. ولتفرحنَّ الأرض. فإنَّ حَمَلَ اللهِ قد وُلِدَ على الأرضِ ليفتدي العالَمَ.» (**كاثسما سحر الميلاد**)

يفرحُ ويبتهجُ جنسُ البشرِ بأسرِهِ اليومَ، وتهتزُّ الخليقةُ بأسرِها طَرَبًا. تُعَيِّدُ وتفرحُ المسكونةُ جمعاء، لأنَّهُ سُمِعَ ما لَمْ يُسمعْ بِهِ مِنْ قَبْل، فإنَّهُ قد ظَهَرَ ما هو خفيٌّ قبلَ الدهور. وما هيَ الأشياءُ التي لم يُسمعْ بها والتي لأجلها تفرحُ المسكونةُ إذْ سمعت؟ هي البُشْرَى السارَّة. أنَّ وعودَ اللهِ قدْ تحقَّقتْ وَرُؤَى الأنبياءِ قد ظهرتْ بأوفرِ حقيقة وتمَّ رجاءُ الأمم. هذا الوعد يتحقَّق في النهاية في **الرَّب يسوع المسيح**، الذي هو كمال «نسل المرأة» الذي يسحق **رأس الحيَّة**، «وَالْكَلِمَةُ صَارَ إِنسانًا».

إنَ اللهَ من محبتِهِ القُصوى للبشرِ قد انحدرَ إلى الأرض، لكي يُصعِدَ الإنسانَ إلى السّماء. **فاللهُ في المسيحِ** قدْ أخذَ طبيعَتَنا البشريَّة. لقد اتخذَ الإنسانَ وجعلَهُ مساهمًا لطبيعتِهِ الإلهيَّة «شُرَكَاءَ الطَّبِيعَةِ الإِلهِيَّةِ» بدون اختلاط (٢بط ١: ٤)، لهذا فإنَّ الكنيسةَ بفرحٍ لا يوصفُ تُرنمُ بشكرٍ:« أرسلَ اللهُ فداءً لِشَعْبِهِ» (مز١١٠:٩). فاللهُ المالئُ الكُلّ، «لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُودًا مِنِ امْرَأَةٍ، مَوْلُودًا تَحْتَ النَّامُوسِ، لِيَفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ، لِنَنَالَ التَّبَنِّيَ.» (غلا٤:٤-٥) ، وهو بحسبِ القديس الرسولِ بولس الذي اخْتُطِفَ إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ : «إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ وَوُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ» (في٢: ٦-٨).

وبحسبِ **القديسِ يوحنا الذهبيِّ الفم** أنَّهُ: تعطَّفَ ليولدَ في **رحمِ عذراء** ويخرجَ من هناك مع طبيعتِنا. وبحسبِ **القديسِ كيرلُّس الإسكندري**، إنَّ **كلمة الله** الابنِ الوحيدِ قد اتخذ لحمًا ودمًا أي أصبحَ إنسانًا واتخذ جسدًا وجعلَه له خاصَّتَه ووُلدَ جسديًّا من **القديسةِ والدةِ الإلهِ العذراء مريم**. ووفقًا لهذا الأب (القديس كيرلُّس الإسكندري)، فإنَّ هذا الحدثَ أي أنَّ اللهَ طأطأ السموات، وانحدرَ إلى الأرضِ، لِيُخَلِّصَ آدم من سلطان الموت، ويُؤَلِّه الطبيعة الطبيعة بالنعمة، لكي يستوطِنَ الإنسانُ السماءَ ويضمَّهُ إلى جوقِ السماويين، لهذا فإنّه ينبغي علينا أنْ نُقدمَ للهِ الذي شرفنا كمكافأةٍ عادلةٍ هي: التوبة الحقيقيَّة، وكمال الفضائل، ووقارُ الأعمالِ، كمحبةِ الآخرين وضيافةِ الغرباءِ والمحبةِ الأخويَّة.

إنَّ هذا السرَّ الفائقَ الطبيعة؛ لتجسُّدِ وتأنُّسِ وولادةِ ابنِ اللهِ بالجسدِ، قد ظهرَ للناس محليًّا وتاريخيًّا، وفي المكانِ والزمانِ في مدينةِ بيتَ لحمَ المقدسةِ في هذه المغارةِ البسيطةِ إبَّانَ، **ولايةِ اوكتافيوس اغسطس قيصر**، لم يظهرْ هذا السرُّ لجبَّاري الأرضِ عاملي القوَّةِ والعنفِ والمعصيةِ، بل للناسِ البُسطاءِ الخالين من الغِشِّ. للحكماءِ مستكشفي الكون منقادين بنجمٍ من السماءِ، والرُّعاةِ مُنقادين من ملائكةٍ يرنمون «الْمَجْدُ للهِ فِي الأَعَالِي، وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ، وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ.» (لوقا٢:١٤). أولئك الذين دُعوا، جاءوا وسجدوا وأبصروا المُنزَّهَ عن الزمانِ طفلًا موضوعًا في المغارةِ.

حملَ الملكُ المولودَ في بيتَ لحم على عاتقِهِ، وطوالَ حياتِهِ الأرضيةِ بالجسدِ على وعدِ اللهِ هذا «عَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ، وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ..» التي بشرتْ بها الملائكةُ من السماءِ، فشفَى المرضى وأطعمَ الجياعَ وأقام الموتى وعلَّمَ بالقولِ والفعلِ السلامَ والمحبةَ حتى للأعداءِ، وسلَّمَ كوديعةٍ تعاليمهُ هذه لِرُسُلِهِ وللكنيسةِ التي اشتراها بدمِ صليبِهِ. وبعد أيامٍ من قيامتِهِ من بينِ الأمواتِ وصعودِهِ إلى السماواتِ فإنَّ الكنيسةَ تطيعُ وصيتَهُ وتكرزُ بقولِهِ إلى أقاصي الأرضِ وتذكرُ الناسَ الذينَ يحيونَ على الأرض أنَّ سيرتَهم هي في السَّماوات هم مكرسون لا ليقاتلوا الآخرين «هؤُلاَءِ بِالْمَرْكَبَاتِ وَهؤُلاَءِ بِالْخَيْلِ.» (مز١٩: ٧). ولا ليسفكوا الدماءَ على الأرضِ،

ويذبحوا بعضَهم البعضَ بدونِ رحمةٍ بل لكي يصعدوا إلى السماء.

إنَّ كنيسةَ اورشليمَ المحليَّةِ تتقوَّى في هذه الخدمةِ المقدسةِ للمسيحِ إلهِنا ، وأيضًا شعبِهِ في هذه الأماكنِ المقدسةِ، الذين هم بمثابةِ شهودٍ صامتينَ، لظهورِهِ في الجسدِ لكن غيرَ كاذبين لشخصِ المسيحِ وعملِهِ؛ ومن هذا المكان، مكانِ ولادتِهِ بالجسدِ في بيتَ لحم المقدسةِ في المغارةِ القابلةِ الإله، ومن كنيسةِ الميلادِ الملكيَّة هذه التي من عهدِ الأباطرة قسطنطين ويوستنيانوس تكرزُ لرعيَّتِها في الأرضِ المقدسةِ وفي كلِّ أرضٍ، وللزوارِ الأتقياءِ في هذه الأيامِ المباركة، هاتفين وقائلين: اليومَ تمتلئُ البرايا كلُّها فرحًا فإنَّ المسيحَ قد وُلِدَ من العذراء، لكي يخلِّص شعبه (كُلّ العالم) من خطاياهم. آمين.

في مدينةِ بيتَ لحمَ المقدَّسَةِ
عيدُ الميلادِ المجيدِ
– ٢٠٢٢ شرقي

الداعي لكم بحرارة بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

القديس يوحنا الذهبيّ الفم رئيس أساقفة القسطنطينيَّة

.. مثل إنسانٍ وُلِدَ من العذراء، وبقيت عذراء بعد ولادتها.. بِمَ أنطُق وبماذا أُعبِّر.. يا للأعجوبة العظيمة أنَّ المولودَ وحيدٌ قبل الدهور، الذي بلا جسد لا يُحَسُّ ولا يُفَتَّشُ، جاءَ في الجسدِ لأنَّ الناس إنَّما يصدقون ما يرون ويسمعون عنه، وما لا يرونه لا يصدقونه، فمِن أَجْلِ ذلك ٱحتمل المسيح سيِّدنا أنْ يُنظَر إليه بالجسدِ ليؤمن جحود الذين لا يؤمنون به، ويولد من عذراء غير عارفة بالأمر، لأنَّها كانت إناءً طاهرًا وبسيطًا لا تعرف إلَّا ما سمعته من جبرائيل الملاك، إذْ سألتهُ أنَّى يكون لي هذا وأنا لا أعرف رَجُلًا؟ ، فأجابها الملاك وقال لها: الرُّوح القُدُس يَحِلُّ عليك وقُوَّة العليِّ تُظلِّلُكِ، والذي يُولد منك قدوس وابن العليِّ يُدعى.

إنَّ الإنسان إذا خُدِعَ صار إناءً للشيطان، من أجل ذلك ٱتخذه المسيح هيكلًا، وظهر إنسانًا كاملًا بلا خطيَّة ليُنقِذَ الإنسان من ولاية إبليس، ويفكّ أغلال الخطيَّة..

وإذْ صار إنسانًا، لم يولد مثل ميلاد الإنسان، ولكنَّ الإله صار إنسانًا، ولأنَّهُ لو ولد كالبشر لظنَّ كثيرٌ من الناس أنَّهُ باطل، أمَّا وقد وُلِدَ من عذراء، ومن بعد ولادته حَفِظَ العذراء بتولًا طاهرة نقيَّة، فإن ميلاده عجيبٌ غريبٌ، وهذه هي الأمانة العظيمة لكيما يخلصني من ذنوبي.. وله المجد دائمًا أبدِيًّا، آمين.

دير سيمونوبيترا العامر للرُّوم الأرثوذكس – جبل أثوس ، اليونان

باليونانية: نيا بيت لحم – بيت لحم الجديدة

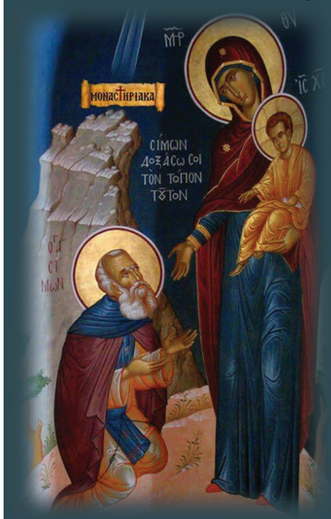

القديس سمعان المفيض الطيب
الناسك في مغارة ضيّقة
يشاهد النجم على قمَّة الصخرة
سامعًا نداء العذراء له
بأن يبني ديرًا على هذه الصخرة
العاصية والمنحدرة بشدَّة
ويُسَمَّى هذا الدير
بيت لحم الجديدة

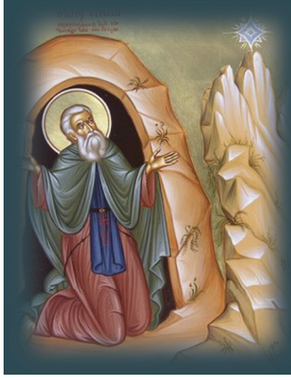

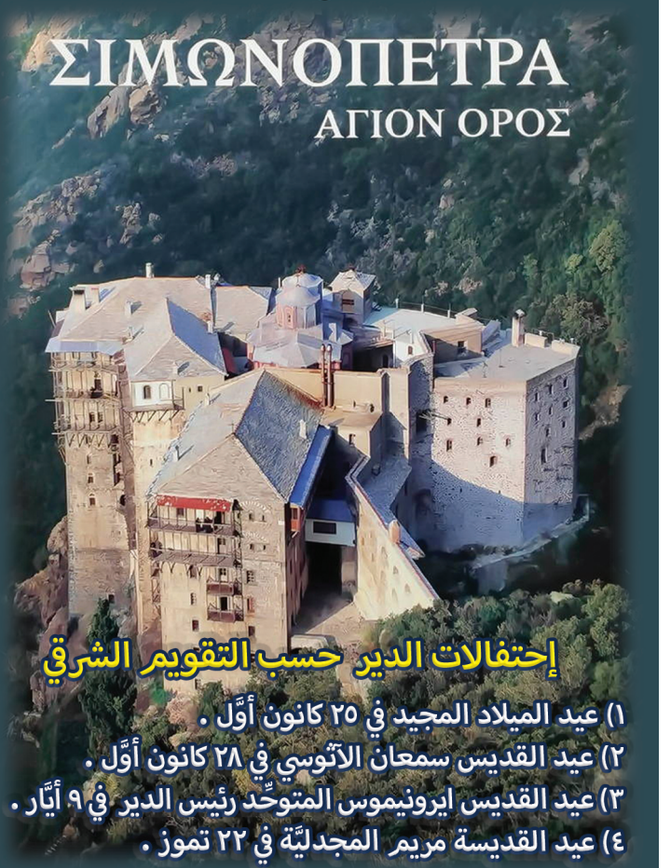

إحتفالات الدير حسب التقويم الشرقي

١) عيد الميلاد المجيد في ٢٥ كانون أوَّل .
٢) عيد القديس سمعان الآثوسي في ٢٨ كانون أوَّل .
٣) عيد القديس ايرونيموس المتوحِّد رئيس الدير في ٩ أيَّار .
٤) عيد القديسة مريم المجدليَّة في ٢٢ تموز .

القديس سمعان الآثوسي المفيض الطيب

مؤسس دير سيمونوبيترا في جبل آثوس – اليونان

عاش **القديس سمعان** في القرن الثالث عشر. فقد هجر أباطيل العالم ولجأ إلى **الجبل المقدس، آثوس**، طلبًا لخلاصِ نفسه. انضم إلى أبٍ شيخ كان ضارعًا ومتمرِّسًا بالحياةِ النُسكيَّة، فخضع له بالتمام والكمال كما **لله** نفسه. أبدى من الطاعة والتواضع والمحبة والصبر ما رفعه إلى درجة عالية من الفضيلة. بات محطّ اعجاب رهبان آثوس واحترام الشيخ أبيه حتى كفّ الشيخ أخيرًا، عن اعتباره تلميذًا له وصار يعامله كرفيق في الجهادِ. لم تَحْلُ هذه الكرامات له فاستأذن الشيخ وخرج ليعيش وحيدًا. بعدما بحث طويلًا عن مكان يناسبه، اهتدى إلى مغارة ضيِّقة رطبة على المنحدر الغربي من جبل آثوس، على علو ثلاثمائة متر عن البحر. فأقام هناك، ليلَ نهارَ، **عُرضَةً لهجمات الشيطان المتواصلة**، وليس له ما يدافع به عن نفسه غير الإيمان والرَّجاء **بالله**، ودُعاء الاسم الحسن **لربنا يسوع المسيح**.

وفي احدى المرا ت وهو في المغارة، سَمِعَ صوتًا، وهو صوت **مريم العذراء النقيّة**، تطلب منه بناء دير هناك، وتكرَّر هذا الصوت وهذا النداء لثلاث مرَّات في أيامٍ مختلفة، وَحَدَثَ لسمعان ذات ليلة، قبل أيامٍ من عيد **ميلاد ربِّنا يسوع المسيح**، أنْ رأى نجمًا يهبط فجأة من السماء ليستقر فوق صخرةٍ مقابل المغارة التي كان مُقيمًا فيها. وإذْ خَشِيَ أنْ يكون ذلك فخًا من فخاخ الخبيث الذي كثيرًا ما يظهر بمظهر ملاك من نور، لم يُولِهِ المنظر اهتمامًا، بل انصرف عنه إلى صلاته وسجداته. لكن المنظر تكرَّر على سمعان بضع ليالٍ متتالية. **وما أنْ حلَّت ليلة الميلاد حتى انحدر النجم فوق الصخرة** كما لو كان **نجم بيت لحم** وخرج صوتٌ من السماء، كان صوت **والدة الإله**، يقول: «**لا تخف يا سمعان، الخادم الأمين لابني! انظر هذه العلامة ولا تغادر المكان فتجد لنفسك خلوة أكبر كما تشتهي، لأنِّي أريدك هنا أن تُنشئ ديرًا لخلاص كثيرين، وتدعوه بيت لحم الجديدة**». فلما سمع سمعان صوت **والدة الإله** أطمأن قلبه، وغمرته النشوة **فألقى نفسه محمولًا إلى بيت لحم، أفي الجسد أم خارج الجسد؟ الله يعلم**. وقف مذهولًا أمام **الطفل يسوع مع الملائكة** والرُّعاة! وإذ عاد إلى نفسه باشر للحال بتنفيذِ ما دعته إليه **والدة الإله الكُلِّيَّة القداسة**.

وما هي إلَّا فترة قصيرة حتى جاء إلى سمعان ثلاثة إخوة من عائلة ثريَّة، من منطقة مقدونيَّة وتساليًا اليونانيَّة، سمعوا عنه وعن فضيلته، فألقوا بغناهم عند رجليه، على نحو ما فعل المجوس قديمًا أمام طفل المغارة، وسألوه أنْ يقبلهم تلاميذ له، فعارضَ لسبب ضيق المغارة

وصعوبة الجهاد والنُّسك، فاختبرهم لعدة أيام، حتى تيَقَّنَ من إصرارهم وعزمهم بالحياةِ النُسكيَّة. وبعدما عرفوا تفاصيل الرؤيا ومطلب **العذراء مريم**، للحالِ جِيءَ ببنّائين، فلما عاينوا الموضع ولاحظوا وعورته وخطورة العمل فيه امتنعوا واتَّهموا القديس بالجنون. في تلك الساعة جاء أحد الإخوة الثلاثة ليُقدِّم للبنَّائين النبيذ ضيافة. وكان الموضع الذي جلسوا فيه مُشرفًا على هُوَّةٍ سحيقة. فزلقت رجل الأخ وسقط من علوٍّ، فظنُّوه قد مات؛ وتيَّقنوا من أنَّ ما قالوه عن استحالة العمل في المكان كان صحيحًا. فابتدأ القديس سمعان يتضرَّع **لوالدة الإله**: «أنتِ يا عذراء قلتِ: ابنِ وَشَيِّد لي هنا ديرًا ...، وها قد بدأتُ العمل وقد سقط أحد الأخوة، فيا عذراء أنجديني !!!».

فجأة ، وبفعل صلاة قديس الله، رأوا الرَّاهب يصعد من الهوَّة سالمًا مُعافى، وإبريق الخمر في يده والكأس في اليد الأخرى ممتلئة وكأنَّه على وَشَكِ تقديمها لهم. إذْ ذاك تعجبَّوا ومجدَّوا الله **وترهَّبوا**. ولما بدأوا بالعمل تعرّضوا لحوادث عدة، لكن، بنعمة الله، لم يصبهم أيُّ أذى.

تأسّس الدير سنة *1257*م، (تزامَنَ بناء الدير مع فترة احتلال الفرنجة لليونان فترة الحروب الصليبيَّة: *1204–1261*)، واكتمل البناء وأخذت أعدادٌ من طلاب الرهبنة تنضم إليه.

إنَّ هذا المشروع المعماري الجريء، الذي مازال **يثير الدهشة والإعجاب** لجميع الزُّوار الوافدين لزيارة هذا الدير المميَّز والفريد، الذي تمَّ انجازه مقرونًا بعجائب حقيقيَّة رافقت مراحل البناء، والمقرونة بصلوات وتضرعات القديس سمعان الآثوسي.

ومن الجديرِ بالذِكرِ: أنَّهُ وصل ذات يوم، إلى المكان **قراصنة من العرب الآتين من بلاد فينيقية (الساحل اللبناني السوري)**. فجاء القديس سمعان إليهم بهدايا آملًا أنْ يصرفهم عن نهب الدير، فلم يرضوا وهجموا عليه يرومون الفتك به، فإذ بهم **يعمون وتيبس يد أحدهم** إذْ حاول أنْ يضرب القديس **بالسَّيف** ولكن، صلَّى القديس وشفاهم بنعمة الله، فتابوا واقتبلوا المعمودية المقدسة وصاروا رهبانًا.

عاش سمعان سنين طويلة أنعم الله خلالها عليه بمواهب جمَّة كصُنع العجائب والنبوءة والتعليم. ولما حضرته ساعة مفارقته، جمع تلاميذه وزوّدهم بإرشاداته ثم رقد بسلام سنة *1287*م حسب ما تُشير إليه سجَّلات الدير.

وقد تبيّن، فيما بعد، أنَّ ضريح القدّيس كان يسيل منه الطيب كينبوع ماء حيّ، وكانت لهذا الطيب صفات عجائبيَّة. لكن الخراب الذي حلَّ بالدير، مرَّات عديدة، محا وَطَمَسَ كُلَّ أثرٍ لمقبرته ورفاته. على أنَّ هذا لم يَخْلُ دون رعاية القدّيس لديره سنين طويلة صونًا للطائعين وتقريعًا وتأديبًا للآثمين المتهاونين. وقد كان بعض الرهبان يرى في يوم ذكراه *28/12* شرقي، نورًا يخرج من مغارته ليغطي إيقونته في الكنيسة. ثم إنَّه بعد رقاده بحوالي ثمانين عامًا شفَى بشفاعته، ابنة سيّد مقدونية الصربي. المدعو يوانيس أونغليسيس. (الذي كانت عاصمته مدينة سيريس اليونانيَّة)، **من تأثير روحٍ شرِّيرٍ وخبيث كان مسيطرًا عليها** ولكي يُعَبِّر عن امتنانه، قام بتجديد الدير الصغير، بإضافة مبانٍ جديدة ليصبح ديرًا أكبر وأعظم وأكثر استقرارًا، كان ذلك سنة *1368* ، فعمل أيضًا على شراء المنطقة (التي يملكها الدير حاليًّا)، وتبرَّع بجميع المرافق الكنسيَّة (الميتوخي). داخل وخارج جبل آثوس. ملحوظة: (ميتوخي: تُشير إلى قطعة من الأرضِ أو منطقة محدَّدة تابعة لأحد الأديرة، يوجد بداخلها عادة كنيسة صغيرة، ومسكنٌ للرهبان الذين يعملون ويصنعون ويزرعون هذه المنطقة المحدَّدة). كما وَهَبَ الدَّير أملاكًا جزيلة،

في سنة *1580*م شَبَّ حريقٌ هائل في مبنى الدير أدَّى إلى تدمير الإرشيف الرّومي البيزنطي تدميرًا كاملًا، وبالكادِ تمَّ إنقاذ بعض المخطوطات وانتشالها من بين ألسنة النيران. ولم تَلْتَئِمْ جراح الدير بَعْدُ، من آثار الدَّمار الذي لَحِقَ بهِ من خلال غارات القراصنة سنة *1520*م.

بعد حريق سنة *1580* المدمِّر، تمكَّن الدير من التعافي بسرعة، إلَّا أنَّ حريقًا آخرَ عام *1622* دمَّرَ الدير، وبحلول عام *1630* تمَّ الانتهاء من ترميم الدير من جديد. وفي القرن الثامن عشر وبالذَّات عام *1762*م، استضاف الدير القديس پاييسيوس فيليتسكوفسكي وتلاميذه ال *35*، إلى حينٍ وبشكلٍ مؤقَّت، وفي عام *1801* عادت حياة الشركة الأخويَّة إلى الدير، حيث كانت قبلًا حياة توحدِيَّة انفرادِيَّة لِكُلِّ راهب.

ملحوظة: ينقسم السلك الرهباني في الأديرة إلى تنظيمين.

١) **تنظيم الشركة** ويسمَّي باليونانيَّة *κοινοβιό* كينوڤيو: وهو شكلٌ من أشكال التنظيم الرهباني، حيث يكون للرهبان مائدة مشتركة، ولا يتقاضون أجرًا مقابل خدماتهم، وليس لديهم أموال أو مقتنيات خاصة بهم (بيوت، حقول، الخ ...) ويخضعون لرئيس الدير.

٢) **التنظيم الخاص** ويسمَّي باليونانيَّة *Ιδιορρυθμία* إذيوريثميًّا: وهي طريقة حياة غريبة عن التقليد الرهباني الأصيل، دخلت للأسف إلى الأديار خلال **فترة الحُكم العثماني** بسبب الفقر والجهل والظروف الصعبة السائدة في ذلك الوقت، حيثُ يعيش الرهبان تقريبًا بشكلٍ مستقل ضمن الدير، وكُلٌ منهم يهتم لتأمين معيشته ومأكله بشكلٍ خاص ومنفرد.

وعليه فالنظام الرهباني في دير سيمونسبيترا عاد عام *1801* إلى **تنظيم الشركة** بدل **التنظيم الخاص**.

ومنذ عام *1848* لغاية عام *1931* شَهِدَ الدير حقبة ازدهار وارتقاء فريد، وذلك لوفود زُرافاتٍ من الرهبان من **منطقة ألاكاتا سميرنا على ساحل آسيا الصغرى**، حيث بلغ عدد الوافدين *90* راهبًا، إلى دير سيمونوبيترا وإلى الميتوخي أيضًا التابع للدير. (ميتوخي = منطقة محدّدة مع كنيسة صغيرة يقطنها النساك ويعملون فيها)؛ ومن ضمن هؤلاء الرهبان كانت باقة من المتوحدين الذين أصبحوا رؤساء للدير، وكان آخر هؤلاء الرؤساء في دير سيمونوبيترا **المتوحّد ايرونيموس** الذي وُلِدَ في آسيا الصغرى سنة *1871*م ورقد بالرَّبِ في *6/1/1957*، حيثُ أعلنت مؤخرًا البطريركيَّة المسكونيَّة **قَداسته** في *27/11/2019* ، وتحتفل الكنيسة بتذكاره في التاسع من شهر أيَّار شرقي كُلَّ عام.

بعد فترةٍ طويلة وصعبة عاشها الدير، ما بين عام *1931* لغاية عام *1973*م لعدم وجود رئيسٍ له، ما يقارب الأربعين عامًا، حَظِيَ أخيرًا هذا الدير بقدوم الشيخ اميليانوس رئيس دير الميتيورا الكبير في أواسط

اليونان (*1962–1973*) مع نخبة من رهبان أديرة ميتاوورا (٢٤ راهب ومبتدىء)، ليتسلَّمَ هذا الشيخ القديس رئاسة دير السيمونوبيترا الشَّاغر من عام *1973* لغاية عام *2000*م، تاريخ انتخاب الرئيس الحالي أليشع، وبسبب مرضٍ أَلَمَّ بِهِ انتقل بعدها إلى دير بشارة والدة الإله المقدَّس في أورميليا – خلكيذيكي (الذي هو أمطوش/انطوش – ميتوخي – للدير نفسه وقد قامَ الشيخ أميليانوس بتأسيسه بنفسه سنة *1995* ، وهو حاليًا أكبر أديرة اليونان للراهبات ويضمّ أكثر من *120* راهبة)، حيث رقد بالرَّب في *9* أيَّار عام *2019* م .

الذخائر المقدسة في دير السيمونوبيترا

١) يد القديسة مريم المجدليَّة
وحرارتها ٣٧ درجة مؤيَّة

٢) قطعة من الصليب الكريم

٣) ذخيرة للقديسة حنَّة أم والدة الإله

٤) ذخيرة للقديس بندليمون الطبيب الشافي

٥) ذخيرة للقديس الشهيد تريفون

٦) قدم القديس كريكوس وله من العمر ثلاث سنوات

٧) القديس موذيستوس بطريرك أورشليم

٨) ذخيرة للقديس أرسانيوس الكباذوكي

٩) ذخيرة للقديس نكتاريوس أسقف المدن الخمس

هامة القديس سرجيوس العظيم في الشهداء– ٣٠٣م والضربة القاضية في الجمجمة

هامة القديس ايرونيموس رئيس دير سيمونوبيترا الصانع العجائب

ذخائر القديسة بربارة العظيمة في الشهيدات عظام الزند والكعبرة / (ما بين الكوع واليد اليمنى) وفوقها قطعة من جلد القديسة

هدف الحياة وغايتها الحقيقيّة

تُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَقَرِيبَكَ مِثْلَ نَفْسِكَ.
(لو 10: 27)

هي محبَّة المسيح والاتّحادِ به

للقديس يوسيف الڤاتوبيذي

« وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْدًا كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ، مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا.» (يوحنا ١:١٤). «لأَنَّهُ لاَقَ بِذَاكَ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ الْكُلُّ وَبِهِ الْكُلُّ، وَهُوَ آتٍ بِأَبْنَاءٍ كَثِيرِينَ إِلَى الْمَجْدِ، أَنْ يُكَمِّلَ رَئِيسَ خَلاَصِهِمْ بِالآلاَمِ) (عبرانيين ٢:١٠).

ولأنَّ الصورة سَقَطَت وتحطَّمت إلى أجزاء، فإنَّ الشخص الوحيد الذي يمكنه التدخُّل وتجديدها لم يكُن أحدًا سوى الذي صنعها أوَّلًا: «لأنَّهُ هو قالَ فكانوا، وهو أَمَرَ فَخُلِقوا» (مزمور ٣٢:٩)، «وَلكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ»، حانَ الوقت لإتمام المخطِّط الإلهي لخلاصنا من خلال الإرادة الإلهيَّة:«أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُودًا مِنِ امْرَأَةٍ، مَوْلُودًا تَحْتَ النَّامُوسِ، لِيَفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ، لِنَنَالَ التَّبَنِّيَ.» (غل٤:٤-٥).

في اليومِ الذي نحتفل فيه بمُخَطَّط الله لخلاص العالم، عيد الميلاد، ميلاد ربِّنا وإلهنا ومخلصنا بالجسد، زارَ الله شعبه و «وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا» (يوحنا ١٤:١). لَمْ تُسمَع قَطُّ بِشارةٌ أفضَل في تاريخ البشريَّة في أيِّ مكانٍ في العالم. الرسالة الأبديَّة، في السماء وعلى الأرض وحتى تحت الأرض، هي ببساطة: «وَالْكَلِمَةُ صَارَ إنسانًا». في خليقةٍ كانت عُرضَةً للموتِ والفَسادِ، ماذا عدا ذلك، أو بالأحرى مَن الذي يمكن توَقُّعه لاستعادة التوازن، غير المهندس الأوَّل؟ ، صرخت الخليقة كلُّها تحت ضغط الفساد: «وَأَنِر بِوَجهِكَ علينا فَنَخْلُص» (مزمور ٧٩:٣). «سريعًا فلتُدْرِكْنا رأْفَتُكَ يا رَبُّ. لأنَّنا قد افتقرنا جدًّا» (مزمور٧٨:٨).

وعندما طأطأ السماوات وانحدر، «صَارَ الْكَلِمَةُ إنسانًا».(تنازُلًا إلهيًّا، لا انتقالًا مكانيًّا) في هذه الكلمات الثلاث، يُحتَضَنُ الإنجيل بِأَكمَلِهِ، البُشرَى السَّارةِ إلى السماءِ والأرضِ وإلى كُلِّ الخليقة. لأنَّ الله الكلمة صَارَ جسدًا **(بدون تغيير أو تبديل أو اختلاط أو ظِلِّ دوران أو استحالة، فأصبح الإله الإنسان من طبيعتين ومشيئتين وإرادتين)**. فهذا يعني أنَّهُ اتَّحَدَ أُقنوميًّا بنا نحن البَشَر، الذين أصبحنا منذ تلك اللحظة أُناسًا «بِجَسَدٍ إلهيّ».إنَّ جَسَد الكلمة البَشري، في اتِّحادٍ سِرِّيّ، ولكن حقيقي مع الله، يختبر ويَشِع كُلَّ الكمالات الإلهيَّة. عندما أخذَ الله الكلمة طبيعتنا البشريَّة، لم يَصِر جَسَدًا فَحسب، بل أيضًا روحًا، «روحًا إلهيَّة».

لكن حتى بعد الاتّحاد، يظَلُّ الاثنان غير مختلطين. يبقى الله هو الله، والرُّوح تبقى الرُّوح (الروح الإنسانيَّة في التجسُّد)، والفرق هو أنَّه لِكَونِ الرُّوح قد تَلَقَّت الصفات الإلهيَّة بالنعمة، فهي تُشارك الآن في أسرار الله المُبهِجة. من خلال مُشاركتها الأقنوميَّة، مع الولادة الذَّاتيَّة والخلود الإلهِيَّين، تُصبح الرُّوح عُضوًا فاعلًا في الحياةِ الأبديَّة والخلود في المسيح، كما في السِمات الإلهيَّة الأُخرى، حيث تُشارك في التدبير الإلهي، أي مخطط الله لخلاصنا.

بِتَجَسُّدِهِ، أَعطَى الكلمة صفات أُخرى للطبيعةِ البشريَّة. لقد أعطَى جُزءًا من سِماتِهِ الإلهيَّة إلى كيان البشريَّة (النفس - جسدي)، وبهذه الطريقة، تَحَوَّلَ كُلُّ شيء إلى «شِبهِ الله»، كما كانَ قبلَ السقوط. الآن بالفعل، لقد اكتسَبَ الذين يعيشون في المسيح وعيًا على شبهِ المسيح، وضميرًا على شِبهِ المسيح، وإرادة على شبه المسيح، وذاكرة على شبهِ المسيح، وبوجهٍ عام، تَطَعَّمَت طبيعتهم بأكملها بِجَسَدِ المسيح المُؤَلَّه (بسبب الاتّحاد باللاهوت) (كما يتم تطعيم الشجر: المترجم) وصاروا أشباه المسيح. بما أنَّ الله الكلمة هو خالق كُلِّ الخليقة، فهو أيضًا أساس كُلِّ بُنيَة العالم. بالخطيئة والشَّرّ، يُحاول الجنس البشري إبعاد الله الخالق، عن أُسُسِ الكون. لقد تَجَسَّدَ ابن الله الوحيد وكلمته، لكي يتواصَل مع خليقته وَيُعيدها إلى خالقها الذي انسلخت عنه بالتعَدِّي والسقوط.

بالرَغمِ من ذلك، فهو في نفس الوقت أساسها الأوَّل. الابن « الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ، بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ. فَإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ: مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ، مَا يُرَى وَمَا لاَ يُرَى، سَوَاءٌ كَانَ عُرُوشًا أَمْ سِيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَاتٍ أَمْ سَلاَطِينَ. الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ.» (كولوسي ١:١٥-١٦). في مكانٍ آخر يقول التالي: « فَإِنَّهُ لاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَضَعَ أَسَاسًا آخَرَ غَيْرَ الَّذِي وُضِعَ، الَّذِي هُوَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ.» (١ كورنثوس ٣:١١). إنَّ الذين يبنون على صَخرةِ الكون الثابتة التي لا تتزَعزع هُم حُكماء، وقد اكتسبت شخصياتهم كُلَّ صفات الله؛ لقد صاروا «على شبه الكلمة»، وسوفَ يصمدون أمامَ صدمات هزَّات هذا العالم وعدم يقينه.

يوضِح تجسُّد الكلمة أنَّ الرُشد هو جوهر طبيعتنا، وَرُكنُ كياننا وأساسه. في نموذجها الأوَّل وفي طبيعتها، كُلُّ الخليقة، الماديَّة وغير الماديَّة، تأتي من الله الكلمة وهي للكلمة. فيه ومن خلاله يعود كُلُّ شيء إلى أصلِهِ الرَّاشِد ووجوده. وحيث أنَّ مصدرنا هو للهِ وباللهِ، فإنَّ حياتنا وكياننا يعتمدان عليه كُليًّا، أَلَيسَ هذا ما تعنيه كلمات رَبِّنا: « بِدُونِي لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا.» (يوحنا ١٥:٥).

إنَّ عيد الميلاد ارتبط ارتباط وثيقًا بالعقيدة، هذا ما ساعده على الانتشار في الشرق والغرب إذْ عيد الميلاد هو عيد عقائدي حيث قام هذا العيد على أساس **محاربة الوثنيَّة وبعض الهرطقات مثل الابيونيَّة والاريوسيَّة والنسطوريَّة الافتيخيَّة والطبيعة الواحدة .**

من هنا نرى أهمية عيد الميلاد، وعيد العُمَّاد حيث العيد الأول يؤكد ناسوت **المسيح** والعيد الثاني يؤكد ألوهيَّة **المسيح**. لذا نرى عقيدة التجَسُّد تتوَضَّح أكثر وأكثر عند **آباء الكنيسة** الذين دحضوا **الهرطقات** التي تتعلَّق بعقيدة التجَسُّد.

لذا فإنَّ التعليم العقائدي عن شخص **يسوع المسيح** الإله المتجسد هو من أهم العقائد المسيحيَّة الصعبة الإدراك، وإنَّ أهميَّة عقيدة التجَسُّد هذه تنبع مِنْ إنَّ الرَّبَّ **يسوع المسيح** هو:«رَئِيسِ الإِيمَانِ وَمُكَمِّلِهِ» (عب١٢:٢). «لأَنْ لَيْسَ اسْمٌ آخَرُ تَحْتَ السَّمَاءِ، قَدْ أُعْطِيَ بَيْنَ النَّاسِ، بِهِ يَنْبَغِي أَنْ نَخْلُصَ» (أع ٤: ١٢).

وقد شَهِدَ **القديس بولس الرسول** عن صعوبة إدراك سِرِّ التجَسُّد في رسالته إلى تلميذه تيموثاوس حيث قال:«عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ، تَبَرَّرَ فِي الرُّوحِ، تَرَاءَى لِمَلاَئِكَةٍ، كُرِزَ بِهِ بَيْنَ الأُمَمِ، أُومِنَ بِهِ فِي الْعَالَمِ، رُفِعَ فِي الْمَجْدِ.» (١تيموثاوس ٣:١٦).

هناك سؤال يُطرح وهو: **كيف يمكن لكائنات بشريَّة محدودة مثلنا أن تفهم الله غير المحدود** ؟. إنَّ من الصعبِ على أيٍّ منَّا أنْ يستوعب معاني أو أفكارًا مُجرَّدة مثل الحقِّ أو الخير أو الجمال، بدون وجود أمثلة منظورة لها . فنحن نعرف الجمال عندما نراه في شيء جميل، والصلاح عندما نراه مُرَكزا في شخص صالح، وهكذا. لكن بالنسبة **لله**، كيف يمكن لأيِّ شخصٍ أنْ يفهم مشاركة **الله** والاتحاد به؟ يُمَكِّنُنا ذلك إلى حدٍّ ما، إذا قام **الله** بطريقة ما بتحديد نفسه في شكل إنسان، يمكن عندها للكائنات البشرية أنْ تفهمه .

تلك هي رسالة العهد الجديد. قال بولس عن **المسيح**: « فَإِنَّهُ فِيهِ يَحِلُّ كُلُّ مِلْءِ اللاَّهُوتِ جَسَدِيًّا.» (كول٢: ٩). أصبح يسوع (المخلِّص) إنسانًا، حتى يتمكَّن البشر من أن يفهموا **الله** اللامتناهي بعض الشيء. (حسب آباء الكنيسة). «اَللهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. .. اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ.» (يو١:١٨ و ١٤:٩)، «فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ. هذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللهِ. كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ» (يو١: ١-٣).

إنَّ عقيدة التَجسُّد الإلهي، وسرَّ التدبير الخلاصي المعبَّرُ عنه بشكلٍ واضح في ليتورجية عيد الميلاد، وأيضًا في **ليتورجيَّة القديس يوحنا الذهبيّ الفم وبأفاشين القرابين المقدّسة بشكلٍ خاص** تشكل الأساس اللاهوتي الذي يقوم عليه كل الإيمان **بالمسيح** وبأعماله الخلاصيَّة من موت وقيامة وصعود إلى السماء. **(وَنَحْنُ لِتَذَكُّرِنَا هٰذِهِ ٱلْوَصِيَّةَ ٱلْخَلَاصِيَّةَ. وَكُلَّ مَا جَرَى مِنْ أَجْلِنَا، ٱلصَّلْبَ وَٱلْقَبْرَ وَٱلْقِيَامَةَ ٱلثَّلَاثِيَّةَ ٱلْأَيَّامِ وَٱلصُّعُودَ إِلَى ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْجُلُوسَ مِنْ عَنْ ٱلْيَمِينِ وَٱلْمَجِيءَ ٱلثَّانِيَ ٱلْمَجِيدَ.»** فعلى أساس التجَسُّد، يكون الموت الذي ماته **المسيح** قد ماته بالجسد فقط، أمَّا بصفته **كلمة الله الأزلي** فهو باقٍ كما هو منذ الأزل، حيًّا لم يمت، قائمًا مع **الله**، بعد دورة القرابين يقول **القديس يوحنا الذهبيّ الفم** في خدمة القدَّاس الإلهي: **«لَقَدْ كُنْتَ فِي ٱلْقَبْرِ بِٱلْجَسَدِ. وَفِي ٱلْجَحِيمِ بِٱلنَّفْسِ كَإِلٰهٍ. وَفِي ٱلْفِرْدَوْسِ مَعَ ٱللِّصِّ. وَعَلَى ٱلْعَرْشِ مَعَ ٱلْآبِ وَٱلرُّوحِ. أَيُّهَا ٱلْمَسِيحُ مَالِئًا ٱلْكُلَّ يَا مَنْ يُمْتَنَعُ وَصْفُهُ.»**، وعلى أساس التجَسُّد تكون القيامة التي قامها **المسيح** بالجسد عبارة عن قُوة حياة جديدة بعد الموت أدخلها على الطبيعة البشريَّة التي أخذها منَّا **من دماء النقيَّة والدة الإله الدائمة البتوليَّة مريم**، أمَّا بصفته **كلمة الله الأزلي** فهو قائم وحيٌّ من الأزل والى الأبد. كذلك، على أساس التجَسُّد يكون الصعود الذي صعده أمام عيون تلاميذه بالجسد والجلوس عن يمين الآب الذي أكمله أيضًا بالجسد لم يكن عن نفسه لأنه **ابن الله** وهو قائمٌ دائمًا في السماء في حضن **الآب** كقوله:« وَلَيْسَ أَحَدٌ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ إِلاَّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، ابْنُ الإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ فِي السَّمَاءِ.» (يوحنا ٣: ١٣).

إذًا ما يميّز الإيمان المسيحي هو، ولا شك، سِرُّ التجَسُّد: «عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ،» (١تيمو ٣: ١٦). «فَإِنَّهُ فِيهِ يَحِلُّ كُلُّ مِلْءِ اللاَّهُوتِ جَسَدِيًّا.» (كولُسي٢: ٩).

هناك سؤال يُطرح: « **لماذا صار الإله إنسانا ؟**» « **لكي يصير الإنسان إلها بالنعمة**» هذا هو جواب آباء الكنيسة. **فالقديس غريغوريوس اللاهوتي** يقول: « لقد أخذ الذي لنا وأعطانا الذى له، فلقد تقرَّب مني تقرُّبًا أغرب وألزم من التقرب الأول. وبقدر ما أعطى أولًا الأفضل يأخذ الآن الأسوأ». فغاية التجسُّد ليست التكفير عن الخطيئة الأصليَّة بل تَأْلِيه الإنسان بالنعمة، بولادَتِهِ ولادة جديدة في **المسيح** وعلى صورة **المسيح**. بل إنَّ تجسُّد **ابن الله** هو في قصد **الله** منذ خلق العالم . إنَّ العالم خُلِقَ طفلًا، والخطيئة هي مرحلة عابرة وملازمة لحالة الإنسان قبل بلوغه. في **المسيح** بلغ الإنسان كمال الإنسانيَّة، في **المسيح** ظهر «الإنسان البالغ»، حتى يستطيع الإنسان أنْ يحيا (الكامل) حياة **الله** لا بُدَّ أنْ يصبح الإله إنسانًا ليرفعه إليه، كان لا بُدَّ أنْ يأتي آدم الثاني **(المسيح)** إنسانًا روحانيًّا، إنسانًا نازلا من السماء. «وَلَيْسَ أَحَدٌ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ إِلاَّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، ابْنُ الإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ فِي السَّمَاءِ.» (يو٣: ١٣). وعليه يجب أن يأتي آدم الروحاني بدلًا من آدم الترابي. «الإِنْسَانُ الأَوَّلُ مِنَ الأَرْضِ تُرَابِيٌّ. الإِنْسَانُ الثَّانِي الرَّبُّ مِنَ السَّمَاءِ.» (١كور ١٥: ٤٧). «وَكَمَا لَبِسْنَا صُورَةَ التُّرَابِيِّ، سَنَلْبَسُ أَيْضًا صُورَةَ السَّمَاوِيِّ.» (١كور ١٥: ٤٩).

إن هذا التعبير المكاني أي نزول **آدم الثاني** من السماء، هو صورة بشريَّة لحقيقة إلهيَّة، هي أنَّ **المسيح هو ابن الله**، هو « إنسان كامل واله كامل » بحسب تعبير **مجمع خلقيدونية**.

إنَّ تَأْلِيه الإنسان لا يُزيل طبيعته الإنسانيَّة. فكما أنَّ الطبيعة الإلهيَّة والطبيعة الإنسانيَّة اتَّحدتا في شخص **يسوع المسيح** «دون اختلاط ولا انفصال ولا تغيير ولا ظل دوران» بحسب المجمع الرابع المسكوني عن **المسيح** الإله والإنسان، كذلك في الإنسان **المؤلَّه بالمسيح** تبقى الطبيعة الإنسانيَّة كاملة، فالنعمة تُضفي عليها بُعدًا جديدًا هو بعد الاتحاد بحياة وكيان **المسيح**، ليتصور **المسيح** فينا. «يَا أَوْلاَدِي الَّذِينَ أَتَمَخَّضُ بِكُمْ أَيْضًا إِلَى أَنْ يَتَصَوَّرَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ.» (غل٤: ١٩).

يقول **القديس يوحنا الدمشقي**:«تأنَّس **ابن الله** لكي يعيد الإنسان إلى ما كان عليه قبلا . فقد كان خلقه على صورته، عاقلًا وحرًّا، وكمثاله، أي كامل الفضائل على مقدور طبيعة الانسان. وهذه الصفات هي بمثابة سمات للطبيعة الإلهيَّة وهي التنزه عن الهمّ والاضطراب والتشويش مع الصلاح والحكمة والعدل والتحرُّر من كُلِّ شَرٍّ .ولما آلت بنا الحال إلى الشر، تجرَّدنا من الشركة الإلهيَّة، ولما صرنا خارج الحياة سقطنا في فساد الموت ولما كان المسيح قد أشركنا بما هو أفضل ولم نحتفظ به، اتخذ هو الأدنى – أعني طبيعتنا – حتى يعيد بذاته وفي ذاته تجديد ما كان على صورته وكمثاله وأرشدنا إلى السيرة الفاضلة، جاعلًا إياها في ذاته سهلة المنال منا .».

إن غاية التجسُّد بحسب **القديس ايريناوس** إنما هو: «الانجماع الكليّ في المسيح»، هذا اللفظ قد استمده من رسالة **بولس الرسول** إلى أهل افسس، حيث يبين إنَّ غاية **الله** النهائيَّة من الخليقة كلِّها التي سيحققها في ملء الأزمنة «لِيَجْمَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ» (أف ١: ١٠).

ما يقصده ايريناوس «**الانجماع الكليّ**» ليس فقط انجماع الخليقة كلها ببعضها في وحدة متجانسة، بل وانجماع الخليقة مع الخالق نفسه في **المسيح**، الذي حقَّقَ في نفسه ملء الوجود الكليّ للخالقِ والخليقة معا:«إنَّ المسيح قد وحّد الإنسان مع الله.» (ضد الهرطقات ٣:١٨).

فغاية التجسُّد النهائيَّة هي: «إعادة الشركة بين **الله** و**البشرية**» وهذا ما لم يفهمه الهراطقة (التبني للآب عند آباء الكنسية)، «إن البعض لا يقبلون عطيَّة التبنِّي ويحتقرون الميلاد البتولي الذي به تجسَّد كلمة الله. وهم بذلك يسلبون الإنسان من الارتقاء نحو الله، ويصيرون غير شاكرين لكلمة الله الذي تجسَّد من اجلهم . فانَّه لهذه الغاية قد صار كلمة الله إنسانا، وصار ابن الله ابنًا للإنسان لكي يتحد الإنسان بالكلمة ويقبل التبنِّي فيصير ابنا لله» (ضد الهراطقة ٣: ١٩: ١- ٣).

فغاية التجسُّد النهائيَّة هي أنْ يمتزج الإنسان **بالكلمة** فيصير بذلك ابنًا للهِ ونفس هذا المعنى يعبّر عنه **القديس اثناسيوس** بصيغة أقوى وأوضح قائلًا إنَّ **الكلمة** تجسَّد «لكي يجعل الإنسان قادرًا لِيَتَقَبَّل اللاهوت».(ضد الاريوسيين ٢: ٥٩) . لقد صار إنسانًا لكي يُوَحِّدَنا مع **الله** في **شخصه**، **وخرج من امرأة، وَوُلِدَ من عذراء نقيَّة طاهرة**، لكي يُحوّل إلى نفسه جنسنا، ويصيرنا بالتالي جنسًا مقدسًا وشركاء للطبيعة كما كتب الرسول بطرس «لِكَيْ تَصِيرُوا بِهَا شُرَكَاءَ الطَّبِيعَةِ الإِلهِيَّةِ» (٢ بط ١: ٤) (الرسالة ٦. إلى "أدلفيوس"٤:، باترولوجي چريج ٢٦: ١٠٧٧). وفي نفس المعاني القوية يكرِّرها **القديس هيلاري** أسقف بواتييه:«إن ابن الله قد وُلِدَ كإنسان من العذراء في ملء الزمان لكي يرفع البشرية في شخصه حتى إلى (الاتحاد) باللاهوت» (في الثالوث ٩: ٥).

إذًا الغاية من تجسُّد الابن الوحيد:«أن يأخذنا في نفسه إلى داخل الله». في هذا المعنى يقول **القديس غريغوريوس النزينزي**:«هذا هو مغزى السِّرِ الأعظم الحاصل من اجلنا ، سِرِّ الله المتجسد من اجلنا .. لقد جاء لكي يجعلنا جميعًا واحدًا في المسيح، في ذاك حلَّ فينا بالكمال لكي يعطينا كل الذي له.» (عظة ٢٣: ٧، باترولوجي چريج ٣٥: ٧٨٥).

يُلاحَظ في هذا القول أنَّ القديس غريوريوس النزينزي يجمع فيه عدة معانٍ مما وجدناه عند الآباء السابقين له: «فغاية تجسد الكلمة هو ان تتجمع البشريَّة كلُّها في المسيح ، وهي إعطاؤه لنا إيانا كُلَّ الذي له (هو أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له) ».

أَمَّا **القديس غريوريوس النيصصي** يُعلِّم: «بأَنَّ التبني هو أحد نتائج التجسد الإلهي، ونتائج التجسد ترتبط ليس فقط بعمليَّة ميلاد الرَّبِّ يسوع، بل بكُلِّ عمله الخلاصي من اجل أنْ يُوَحِّد نفسه بالطبيعة البشريَّة التي أخذها من جنسنا، فبواسطة تجسُّد الله الكلمة تتحقَّق إعادة الشركة والاتحاد بين الله والإنسان فيعود الإنسان مرة أخرى إلى رتبته الأولى».

إذًا التجسُّد غايتُهُ التحرُّر من الموت ومن الخطيئة، وعودة الإنسان إلى **الله**، التصالح مع **الله**، التبني **للآب بالمسيح**، وهي تألُّه الإنسان. في الفصل ١٨ من مقالةٍ للموعظين يبين النيصصي نتائج التجسُّد بالنسبة للبشريَّة، فعلى سبيل المثال يذكر: «النصرة على الشيطان والتي ظهرت نتائجها من تحطيم الأصنام ومن اختفاء ضرورة تقديم ذبائح من الحيوانات لله، وإبطال أفعال السحرة، والاحتفالات الوثنية.»

أمَّا في أعماله وكتاباته الأخرى فنجده يربط بين عمل **المسيح** الخلاصي من خلال التجسُّد، وبين النفس البشريَّة، كما نلاحظ أنَّه يركِّز باستمرار على النصرة على الموت التي تمَّت من خلال تجسُّد **الكلمة** وموته وقيامته (التبني للآب عند آباء الكنيسة). **فالمسيح يسوع** هو «آدم الثاني» الذي بواسطة **«تدخل الحياة فيتبدد الموت»** وهو عكس **«آدم الأول»** الذي **« فتح للموت الطريق»**.

بالتالي إنَّ نتائج التجسُّد كما يراها النيصصي، تتطلَّب مشاركة كُلِّ إنسان بكاملِ حرِّيته لكي تأتي بثمارها فيه، لأنَّ هذه النتائج قد أصبحت **مُلكٌ** لكلِّ البشر عن طريق التجسُّد. وهو يركز على هذه **الحقيقة** بقوله: «إنَّ الدعوة هي واحدة للكلِّ بغض النظر عن فوارق المركز الاجتماعي أو العمر أو الجنس» (التبني للآب عند آباء الكنيسة).

وعن طريق التجسُّدُ تصالح الإنسان الخاطئ وتبرَّر، والنيصصي يستخدم تعبير «**تبرَّر**»، ذلك التعبير استخدمه بولس الرسول، وفي نفس المعنى. ويوضِّح نتائج التجسُّد هذه قوله الرائع: إن الإنسان بالتجسُّد لم يصبح بعد عَدُوًّا». (ضدَّ افنوميوس ٣ الكتاب الأول باترولوچي چريچ.٤٥ . ٨٨٩ .B)، «ولا عبدًا، بل صديقًا، وليس صديقًا فقط بل ابنًا» (في الكمال المسيحي . باترولوچي چريچ.٤٦ . ٢,٨ .B) . وفوق كُلِّ شيء يبرز النيصصي حقيقة تألُّه الإنسان بواسطة التجسُّد الإلهيّ فلقد تألَّهت طبيعة **المسيح** البشريَّة فيه، ومن خلالها تألهت كُلُّ البشريَّة، وبينما بدأت عملية تألُّه طبيعة **المسيح** البشريَّة منذ لحظة التجسُّد، واكتملت بموته وقيامته فإنَّ تألُّه طبيعة البشر، والتي هي في الواقع تسلمنا للعطايا الإلهيَّة التي أخذناها عن طريق التجسُّد، قد بدأت منذ القيامة، فلقد كانت غلبة **الرَّبِّ الموت**: «هي بداية غلبة الموت واستعلان الحياة الأبديَّة» بالنسبة لنا .(مقال للموعظين ٢٥، ٢).

لذا فإنَّ **الفكر اللاهوتي الارثوذكسي** بالنسبة الى موضوع التجسُّد يعتبرُ عمل **الله** الخلاصي الفائق. إنَّهُ **الإبداع الإلهي بامتياز** لإعادة الشركة بينه وبيننا. ماذا كان سيحصل لو لم تحدث السَّقطة ؟ لو لم يخطئ الإنسان أبدًا ، فهل كان **الله** اختار، مع ذلك، أنْ يصبح إنسانًا، هل يُعتبر التجسُّد الإلهي فقط جوابًا للوضع المؤلم للإنسان السَّاقط، أم أنَّ التجسُّد يخدم بطريقة ما الأهداف الأزليَّة؟ وهل نرى في **الله** المتجسِّد تحقيق المصير الحقيقيّ للإنسان؟. (المطران كاليستوس وير – تعريب لجنة الترجمة في ابرشية اللاذقية – ١٩٩٣ في معرفة الله – رؤية أرثوذكسية – اللاذقية ١٩٩٣)

أمَّا كونه «اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ» (١تيمو٣: ١٦)، فواضح من قول يوحنا «وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا» (يو١ :١٤). «فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ. هذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللهِ.» (يو١ :١-٢) قد صار جسدًا ولم يكن كذلك قبلا والذي كان في العالم بالرُّوح وخُلِقَ العالم به «كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ.» (يو١ :٣)، وكان حياةً ونورًا يفعل في قلوب الناس «فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ، وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ» (يو١ :٥)، قد اخذ طريقًا جديدة لإعلان **الله**، بإضافة الطبيعة البشريَّة إلى الطبيعة الإلهيَّة ،**والكلمة** «**صار**» في قوله: «وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا» (يو١ :١٤) . وهذه الآية تفيد ما يأتي:

إنَّ جسد **المسيح** كان جسدًا حقيقيًّا لا صورة فقط ولا هيئة إنسان أُخذَت وقتيًّا كما حدث في إعلاناته في **العهد القديم**. بمراجعة (يو ١٢ :٢٧) حيث قال **المسيح**: «اَلآنَ نَفْسِي قَدِ اضْطَرَبَتْ.» و (يو١٣ :٢١) : «لَمَّا قَالَ يَسُوعُ هذَا اضْطَرَبَ بِالرُّوحِ»، و (متى ٢٦ : ٣٨) : «فَقَالَ لَهُمْ: نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدًّا حَتَّى الْمَوْتِ.»، و (لوقا ٢٣ :٤٦) «وَنَادَى يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَقَالَ: «يَا أَبَتَاهُ، فِي يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي». وَلَمَّا قَالَ هذَا أَسْلَمَ الرُّوحَ» .

كيفية اتحاد الطبيعتين في المسيح للقديس يوحنا الدمشقي: « وإنَّ كلمة نوع مشترك لا يمكن استعمالها في التعبير عن **ربّنا يسوع المسيح**، لأنَّهُ لم يكن قطُّ ولا يكون ولن يكونَ مسيحًا آخر من لاهوت وناسوت، هو نفسه إله كامل وإنسان كامل في لاهوت وناسوت. ولا سبيل للكلام عن طبيعة واحدة في **ربّنا يسوع المسيح**، بمعنى أنَّهُ كما الفرد من نفس وجسد كذلك يكون **المسيح** من لاهوت وناسوت. وإذا كان هناك فرد، **فالمسيح** ليس فردًا وهو لا يُصنَّف في نوع من **مسحاء**. لذا فإنَّنا نقول بأنَّ الاتحاد صائر من طبيعتين كاملتين، إلهيَّة وإنسانيَّة، ليس بشكل انعجان أو اختلاط أو امتزاج كما يقول **ديوسقوروس وأوطيخا وساويروس ومن سار سيرهم**، ولا بإلفة شخصيَّة أو وديَّة أو على سبيل الرتبة أو وحدة الرأي أو وحدة الكرامة أو وحدة الاسم أو وحدة الرضى كما يقول كلٌّ من **نسطوريوس ودروسورس وثاودورس المفصوصطي وجماعتهم**، ولكننا نعترف بتركيب هو – في ما يخص الأقنوم – بلا تحويل ولا اختلاط ولا تغيير ولا انقسام ولا انفصال، في طبيعتين حاصلتين على كمالهما في أقنوم هو أقنوم **ابن الله** المتجسِّد، قائلين: بأنَّ هذا هو أقنوم لاهوته وناسوته ومعترفين بأنَّ الطبيعتين تظلَّان سالمتين فيه بعد الاتحاد، دون انفراد كلٍّ منهما بميزتها، بل متَّحدتين إحداهما مع الأخرى في الأقنوم الواحد المركب. فنقول باتحاد جوهري –أي **حقيقي** لا خيالي– وجوهري، لا بحيث تحصل طبيعة واحدة مركبة من طبيعتين، بل بحيث تتحد الطبيعتان الواحدة بالأخرى في أقنوم واحد مركب هو أقنوم **ابن الله**، ونحدِّد بأنهما تحتفظان بتباينهما الجوهري. فالمخلوق منهما لا يزال مخلوقًا، وغير المخلوق، غير مخلوق. والمائت يبقى مائتًا والخالد خالدًا. والمحصور، محصورًا. وغير المحصور، غير محصور. والمنظور منظورًا. وغير المنظور، غير منظور.»

يقول **القديس اسحق السوري:**« إنَّ التجسُّد هو الحدث، الأكثر فرحًا وسعادة، الذي عرفه على الإطلاق، الجنس البشري». من هذا المنظار فإنَّ تجسُّد **يسوع المسيح** يمثل أكثر بكثير من فداءٍ للسقطة، وأكثر من تجديد للإنسان وإعادته لحالته الأصليَّة في الفردوس. عندما يصبح **الله إنسانًا** يكون هذا ابتداء لعهدٍ جديدٍ في الأساس لتاريخ الإنسان.

يقول **القديس باسيليوس الكبير:** «إنَّ ولادة يسوع هي عيد ميلاد لكل الجنس البشري». «مَنْ مِنْكُمْ يُبَكِّتُنِي عَلَى خَطِيَّةٍ؟» (يو ٨: ٤٦).

التجسُّد إذن هو مرحلة أساسيَّة في رحلة الإنسان من مرحلة الصورة الإلهيَّة إلى المثال الإلهي، لذا، السبب الحقيقي للتجسُّد لا يرتكز إذن على وضع الإنسان الخاطئ، إنما على طبيعته غير السَّاقطة كونه مصنوعا على الصورة الإلهيَّة وقادرًا أن يدخل في اتحاد مع **الله** .

أن نَجِد معنى للاكتئاب

● نحتاجُ أنْ نكتشف معنى **الاكتئاب** حتى يمكننا أنْ نُكافحه بنجاح، وعلى مستوى أفضَل. فُقدان المعنى العميق **للاكتئاب** هو نفسه عامِل يُؤدِّي إلى **الاكتئاب** بصورةٍ أساسيَّة.

● يتكلَّم **القدّيس صفروني** عن **الاكتئاب** باعتباره محنة روحيَّة تتميَّز بـ «افتقار الاهتمام بالخلاص».

● إنَّني أتذَكَّر حديث زوجة لزوجها الذي كان يُعاني من **الاكتئاب**: «ماذا تقصد بقولِكَ إنَّهُ لا يُوجَدُ شيء تحيا لأجله؟ أليسَ المنزل هو لكَ، وكذلك العربة، والمغسلة والتلفاز». لقد كانت تحاول أنْ تُساعد زوجها في أنْ يخرج مِنْ **اكتئابه** بأنْ تجعل حياته ملأى بالمعاني، وبأعمال لم تكتمل بعد، وهي في حاجة الى اكتمال.

● إنَّ الله يستخدم كُلَّ شيء في الحياةِ لصالحنا إنْ كُنَّا نؤمن بهِ ونتعاون معه. **والاكتئاب** – كمثال لذلك – يمكن أنْ يُساعدنا على مواجهة قضيَّة الموتِ خاصَّةً في السنين المتقدمة. ويمكنه أنْ يُساعدنا في أنْ نَضُمَّ معًا حياة منسوجة أكثر بمزيد مِنَ الحكمةِ والمحبَّةِ مع كراهيَّة أقل للذَّاتِ. كما يمكنه أنْ يُساعدنا لِنُبقِي فسحة الله في حياتنا وللصلاة. يمكن **للاكتئاب** أنْ يقومَ بكلِّ هذا الدور إنْ سمحنا لله أنْ يُبَيِّن لنا أنَّهُ حتَّى اليأس يُمكن أنْ يخدمَ مقاصدهُ.

«إنَّني لا أعرف ما الذي سوفَ يُداهمني، ولكنَّني مُقتَنِعٌ أنَّ الإله الذي قادني في حياتي الماضية هو أيضًا إله حياتي المستقبلة».

ف. دافيز.

خليط من الارتفاعات والانخفاضات

● إذا كُنَّا فوقَ سُحُبِ الساعة التاسعة (آلام السيِّد المسيح) «وَكَانَ نَحْوُ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ، فَكَانَتْ ظُلْمَةٌ عَلَى الأَرْضِ كُلِّهَا إِلَى السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ.» (لوقا ٢٣: ٤٤)، أو تحت سُحُبِ الظلام، علينا أنْ نتذَكَّر أنَّ الحياة هي خليطٌ من الارتفاعات والانخفاضات. إنَّ الله يسمح لنا أنْ نختبر النقاط المنخفضة في الحياةِ، حتَّى يُعَلِّمنا دروسًا ما كان ممكنًا لنا أنْ نتعلَّمها مِنْ أيِّ طريقٍ آخر.

● لقد كان الله يَعدُّ **شارلس كولسون** المساعد السابق **للرئيس نيكسون** من خلال أدنى فترات حياته (سِجْنِهِ)، إلى دعوته العُليا، ليكون رئيسًا وَمُؤَسِّسًا لوزارة السجون.

● تقول **إيڤيلين أندرهيل**: «لن يَصِل أحدٌ أرض الموعد إن لم يعبُر أولًا البريَّة».

● يُعاني كُلُّ شخص مِنَ القنوط في بعض الأحيان، والطريقة التي نتعامل بها معه تُحَدِّد مسار حياتنا. بعد كُلِّ اكتئاب نمضي خطوة جديدة قُدُمًا إلى الأمام.

«لن يَصِل أحدٌ أرض الموعد إن لم يعبُر أولًا البريَّة».

إيڤيلين أندرهيل:

جذور أعمق – ثمارٌ أوفر

● **الاكتئاب** – على المدى الطويل يُقَوِّينا

● إنَّ الشجرة التي تنمو في المستنقعات ليست بحاجة لأنْ تَمُدَّ جذورها عميقًا في التربةِ. إنَّ جذورها تمتدُّ على سطح المياه، وعندما تَعصِف الريح، فإنَّ الشجرة تَسقُط سريعًا. أمَّا الشَّجر الذي ينمو في الصحراء، فإنَّه على العكسِ، يمدُّ جذوره عميقًا ٣٠ – ٤٠ قَدَمًا حتَّى يجد رطوبة. هذا الشَّجر عندما تعصف به الرِّيح فإنَّه لا يَسقُط. وعلى نفس النَمَطِ، فإنَّ القنوط يُساعدنا ليتربَّى فينا مجموع جذري روحي عميق مرساته هو الله، ليُمَكِّنَنا أنْ نَثبُت تُجاه عواصف الحياة.

● إنَّ نوَّارات شجر الكرز الجميلة ذات الرائحة العَبِقَة، يجب أنْ تسقط أوَّلًا مِنَ الشجرة قبل أنْ تأتي الثمرة اللذيذة. يوجَد قَصد من وراء القنوط. إنَّهُ يُوَلِّد تعميقًا للإيمان وتقوية للأخلاقيات حتى نحمل ثمارًا أغنى وأوفر للرَبِّ.

«قنوط يُساعدنا ليتربَّى فينا مجموع جذري روحي عميق مرساته هو الله»

نشأته: وُلِدَ في **قيصرية الكبادوك** عام ٣٢٩ مِنْ أُسرةٍ تَضمُّ عددًا من الشُّهداء، سواء من جانب والِدِهِ أو والدته، ودُعِيَ على ٱسم والِدِهِ باسيليوس الذي يعني باللغة اليونانيَّة الملكوت.

جدَّته من جهة والِدِهِ **القدّيسة ماكرينا** التي عانت **الأضطهاد،** وتمسكّت بإيمانها، وجدُّهُ من جهة أمِّه إميليا مات شهيدًا.

كان **باسيليوس** أكبر البنين في عائلة مُؤَلَّفَةٍ من عشرة أولاد، خمسة بنين وخمس بنات، وقد مات أخٌ له في طفولته المبَكِّرة وآخر في شبابه (نقراطيوس)، بينما سيم الثلاثة الآخرون **أساقفة: باسيليوس أسقف قيصرية الكبادوك، غريغوريوس أسقف نيصص، وبطرس أسقف سبسطية،** أمَّا أكبر الكُلِّ فهي **ماكرينا،** على اسم جدتها، التي حثَّت الجميع على الحياة الفاضلة.

تربَّى **القدّيس باسيليوس** على يَدَيْ جدَّته ماكرينا في قرية بالقرب من **قيصرية الجديدة** حيث شّيدت والدته هيكلًا على **اسم الأربعين شهيدًا الذين استشهدوا في سبسطية.**

أُرسل في سن مبكرة إلى مدرسة قيصريَّة كبادوكية، وهناك تعّرف على أشخاصٍ من بينهم **القدِّيس غريغوريوس النزينزي.**

وقد برع **القدِّيس باسيليوس** من صغره.

انتقل إلى القسطنطينِيَّة حيث درس البيان والفلسفة، ثم ارتحل بعد خمس سنوات (سنة ٣٥١ م) إلى **أثينا** أيضًا لحوالي خمس سنوات ليكمّل دراسته، وكان قد سبقه إليها صديقه **القدِّيس غريغوريوس النزينزي،** حيث عاش القديسان في مدينة **أثينا** كروحٍ واحدة في جسدين.

وهناك أيضًا التقيا **بيوليانوس** الذي صار فيما بعد **إمبراطورًا يجحد** الإيمان القويم **ويضطهده.**

تميّز **باسيليوس بالفَصَاحَةِ والبيان والفلسفة والفَلَك والهندسة والطبّ** دون أنْ يتخلَّى عن شُعلة الإيمان، فكان لاحقًا خير مثال على ٱستعمال العلوم البشريَّة لخدمة الكلمة الإلهيَّة.

عودته إلى وطنه: رَفضَ كُلَّ عرضٍ أتاهُ من رفاقه ليبقى في **أثينا،** وعاد عام ٣٥٦ إلى وطنه لينشط بتدريس البيان لعامين، وذاع صيته كثيرًا وتلقَّى عروضات مُغرية، ولكن أخته **ماكرينا** كانت خيرَ عاملةٍ لإرشادهِ إلى الطريق الصحيح. وبعد عام نال المعموديَّة، وسيمَ قارئًا.

حياته النسكية: عَرَفَ النُسك في منزله أولًا، خاصة انَّه بعد موت والده حوَّلت والدته وأخته المنزل العائلي إلى مَنْسَكٍ اجتذب عذارى من كبرى العائلات في كبادوكية.

وتابع **باسيليوس** بحثه ، فقام نحو سنه ٣٥٨ م. وهو دون الثلاثين، يتعرّف على النسّاك في **الإسكندرية وصعيد مصر وفلسطين وسوريا وما بين النهرين،** فما كان منه إلَّا أنْ باع كل ما يخصه ووزَّعه على الفقراء، وأخذ مكانًا له للوحدةِ.

في بادىء الأمر نَسَكَ بالقرب من **نهر الأيرس** على مسافة ليست ببعيدة من منسك والدته وأخته.

تفَرَّسَ بجمال الطبيعة وبدأ يكتب: «ماذا أكثر غبطة من مشابهة الملائكة على الأرض؟ في بدء النهار ينهض الإنسان للصلاة وتسبيح الخالق بالتراتيل والأغاني الروحيَّة، ومع شروق الشمس يبدأ العمل مصحوبًا بالصلاة أينما ذهب، مملحًا كل عملٍ بالتسبيح. إنَّ سُكُونَ الوحدة هو بدء تنقية النفس، وبالفعل إنْ لم يضطرب عقل الإنسان لأيِّ شيء، ولم يتشتَّت عن طريق الحواس في أمور العالم، يرتدُّ إلى ذاته، ويرتفع إلى التفكير في الله».

كان صارمًا في نُسكه، مزج النُسك بدراسة الكتاب المقدس والصلاة والعبادة، فجمع من حوله نُساكًا من **بنطس وكبادوكية.**

يعتبر **باسيليوس** من كبار وأوائل مُؤَسِّسِي وَمُنَظِّمِي الحياة الرهبانيَّة.

عمله وحضوره الكنيسة: عرف **باسيليوس** أنَّ **أسقف قيصرية** قَبِلَ **قانون إيمان أريوسي أي هرطوقي** مخالفًا للإيمان الحقيقي، فَشَبَّ ناهضًا من خلوته آتيًا إلى الأسقف يشرح له خطأه الجسيم ، فما كان منه أن عاد عن زلَّته وأعلن قانون الكنيسة الصحيح أي قانون الإيمان النيقاوي الذي يؤكّد وحدانية **الآب** مع **الآب.**

بدأ نجم **باسيليوس** بالسُّطوع ، فغار منه أُسقُفُهُ، فعاد إلى نُسكه ودفاعه ضدَّ **الإمبراطور يوليانوس.**

أُنتُخِب **الإمبراطور فالنس** وحاول نشر **الفكر الأريوسي،** فعاد الشعب يصرخ **باسيليوس،** وحاول **أوسابيوس** تَفْرِقَةَ رَفيقَي النُسك، فَدَعا **غريغوريوس** دون **باسيليوس.** فأجاب الأسقف: «أتكرمني بينما تهينه؟ » وأكمل : عامله فيكون لك فخرًا. وهذا ما حصل ، فصار **باسيليوس**

سندًا للأسقف وصديقًا وفيًّا له، خاصة في شيخوخته.

فاهتم **باسيليوس** برعاية المحتاجين والمرضى، وَشَيَّدَ مُؤسَّسة في ضواحي قيصرية لعلاج المرضى، واستقبال الغرباء والمحتاجين، وعلى مثالها ظهرت مؤسَّسات في مناطق قرويَّة أخرى في الأقاليم تحت إشراف كاهن متقدِّم.

سنة ٣٦٨ م. ظهرت مجاعة اجتاحت الإقليم، فباع **باسيليوس** ما ورثه عن والدته ووزَّعه، كما قَدَّم الأغنياء له بسخاء، فكان يخدم الفقراء بنفسه.

سيامته رئيس أساقفة: توفي أوسابيوس عام ٣٧٠م، فحاول **باسيليوس** الطلب من **القديس غريغوريوس النزينزي** تولِّي الأمر بحجة اعتلال صِحَّتِه، وكان قصده أنْ يرشِّحه للأسقفيَّة، ولكن في النهاية وقعت القرعة عليه، واعتبر **فالنس الأريوسي** تحديًا كبيرًا له.

بعد سنتين من تولِّيه الأسقفيَّة قال:

اصبح الكهنوت بلا كرامة وشهامة، وبدون هيبة ووقار! ليس بعد من يرعى رَعِيَّةَ الرَّبّ بحكمةٍ. قومٌ متكبِّرون يُبَذِّرون مال الفقير على ملذَّاتهم وتوزيع الهدايا. ليس بعد حفظ القوانين مَصُونًا. إجازة ارتكاب الخطايا باتت وُسْعَ الأرضِ. والذين وصلوا إلى مناصبهم بالمحاباة يَرُدُّون لسادتهم الجميل بغضِّ الطرفِ عن الخطايا والموقبات التي يرتكبونها. الحُكم بالحقِّ مات. كُلٌّ يتبع نزوات قلبه. تخطَّى الشَّرُّ كلَّ الجوانب والحدود.

الصعاب التي واجهته:

١ – رفض بعض أساقفة الاشتراك في سيامته وعادَوْهُ، غير أن **باسيليوس** عاد وجذبهم إليه بحزمه وعطفه.

٢ – قسّم **فالنس** أبرشيّة **باسيليوس** إلى إقليمين لإضعاف سلطته، فسارع قدّيسنا إلى تحويل بعض المناطق إلى مدن أساسيَّة وسام مجموعة من الأساقفة عليها ، منهم أخوه **غريغوريوس أسقف نيصص**.

٣ – إشتَدَّ الصِّراع مع **فالنس** وتحوَّل إلى **صِدَامٍ كبير**، إذْ كان **الإمبراطور مُصَمِّمًا على نشر الأريوسيَّة بالقوّة**، وخاف منه عددٌ لا بأس به من الأساقفة، ولكن **باسيليوس** كان كالصخرة أمامه الذي تعرّض لتهديدات مخيفة من **فالنس** لدرجة القتل.

وسُجِّل حوارٌ رائعٌ بين **القدِّيس باسيليوس** وممثل **الإمبراطور الحاكم مودستس**، إذ قال الأخير: ألا تخاف الموت؟ فأجابه **باسيليوس** إذا قتلتني ترسلني عند إلهي. فأكمل **مودستس** قائلًا: لم يكلِّمني أحد من الأساقفة بهكذا كلام من قبل؟ فأجابه **باسيليوس**: لأنَّك لم تلتقِ بأسقفٍ **مِثلي** من قبل.

ويومًا دخل **الإمبراطور فالنس** الكنيسة عند **باسيليوس** في **يوم عيد الظهور الإلهي** لسنة ٣٧٢م. وشاهد الكنيسة تُسَبِّح بصوتٍ ملائكيٍ، فحاول أنْ يُقدم تقدمة فلم يتقدم أحد لتسلمها **لأنه هرطوقي**، وكاد يسقط لولا معاونة أحد الكهنة له، أخيرًا تراءف عليه القدّيس وَقَبِلَهَا من يَدِهِ المرتعشة، وقد حاول أنْ يظهر كصديق **للقدِّيس باسيليوس**.

محاولة نفيه: وبالرغم من ذلك أصرَّ **فالنس** بضرورة نفي **باسيليوس** لسلام الشَّرق. وفي ليلة ترحيله مرض **إبن فالنس** فجأة، فأصرَّت أُمُّهُ دومينيكا على إبقاء القدِّيس، وطلب الإمبراطور من الأسقف أن يصلّي لوحيده ليشفى، فاشترط **باسيليوس** أنْ يعتمد بعدها أرثوذكسِيًّا، وبالفعل شُفِيَ لكن الإمبراطور حنث بوعده إذ عمَّده **أسقف أريوسي** فمات الولد في نفس اليوم.

مرَّةٌ أخرى **استسلم الإمبراطور لضغط الأريوسيين**، وإذ كان يكتب أمر النفي، إنكسر القلم أكثر من مرة في يده المرتعشة فخاف.

وكان **الله** مع **باسيليوس** دائمًا حتى أنَّ **مودستس** عدُّوه القديم إذ أصيب بمرض خطير صلَّى له القديس فشُفِيَ وصار من أقرب أصدقائه.

السنوات الأخيرة: لازم المرض القدِّيس منذ طفولته، وكان يشتد عليه خاصة في السنوات الأخيرة.

في سنِّ الخامسة والأربعين دعا نفسه «عجوزًا»، وفي السنة التالية خلع كل أسنانه، وبعد سنتين في عام ٣٧٩م. سُمِعَ يخاطب الله، قائلًا: «**بين يديك أستودع روحي**» وفي الحال أسلم الرُّوح، وقد اشترك جمهورٌ كثير من المسيحيين والوثنيين في جنازته المهيبة.

كتابات القديس:

١ – العقيدة: خمسة كتب **ضد أنوميوس**، كتاب عن **الرُّوح القُدُس** في ٣٠ فصلًا.

٢ –التفسيريَّة: الأكسيميرون *Hexameron*، أي ستة أيام الخليقة في ٩ مقالات، ١٧ مقالًا عن المزامير، تفسير الـ ١٦ أصحاحًا الأولى لسفر إشعياء.

٣ – مقالات: ٢٤ مقالًا في مواضيع عقيديَّة وأدبيَّة ومديح.

٤ – الرسائل: حوالي ٤٠٠ رسالة في مواضيع متنوعة تاريخيَّة وعقيديَّة وأدبيَّة تعليميَّة وتفسيريَّة وقوانين، ورسائل تعزية.

٥ – توجد ٣ قُدَّاسات باسمه، **في كنيستنا الروميَّة الأرثوذكسيّة** : تُقام خدمة قداس **القديس باسيليوس الكبير** عشر مرَّات في السنة:

- في باراموني الميلاد المجيد والظهور الإلهي (أو في يومَي هذَين العيدَين إذا وقعا يوم الأحد أو يوم الإثنين).
- يوم عيد القديس باسيليوس، في الأول من كانون الثاني.
- في الآحاد الخمسة الأولى من الصوم الأربعيني المقدَّس.
- في يومَي الخميس والسبت من الأسبوع العظيم المقدَّس.

٦ – النسكيَّة: القوانين الطويلة والقصيرة (الشائعة والمختصرة)؛ مقالتان عن دينونة الله، والإيمان؛ والأخلاقيات *Moralia*.

طروبارية للقديس باسيليوس الكبير: على اللحن الأول

عيده في أوّل يوم من السنة ويقام فيه قدّاس القدّيس باسيليوس الكبير:

لقد خرج صوتك الى كل الأرض التي تتقبَّل تعليمك الذي به حدّدت العقائد تحديدًا يليق بالله، ووضَّحت طبائع الكائنات وثقَّفت أخلاق الناس ياذا الكهنوت الملوكي الأب البارُّ باسيليوس، فتضرّع الى المسيح الاله طالبًا ان يخلّص نفوسنا.

بين الذين يستمعون إلينا، عددٌ كبيرٌ لا يعرف من الأعياد سوى اسمها، ولكنهم يجهلون تاريخها وأصلها و(مناسبة) تأسيسها. كلُّنا نعرف أنَّ هذا العيد يُدعَى «**الإبيفانيا**» أو «**الظهور**». لكن ما هو الظهور؟ هل هو عيد واحد أم اثنان؟ ولماذا، وما هي المناسبة التي دَعَت إليه؟ كُلُّ هذا يجهلونه... أليس هذا يدعو **إلى الرِّثاءِ**، أنَّنا نحتفل كُلَّ عام بالعيد ونحن جاهلون بموضوعِهِ وسبَبِهِ؟؟

فمِن اللائق قبلَ كُلِّ شيء أنْ نُعرِّفكم بخصوصِ هذا الموضوع أنَّ الكنيسة تَعتَبِر (أو تعتقد) بظهورَيْن: أولهما، هو الذي قد تمَّ (ونُعيِّد له اليوم)؛ والثاني، سيكون في نهاية الأزمنة، في مظهرٍ غايةٍ في المجدِ والبهاء. لقد استمعتم وشيكًا إلى القديس بولس الرسول يتكلَّم عن الظهورَيْن الأول والثاني وجمعهما معًا في الآيات التالية من رسالته إلى تيطس: «أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَتْ نِعْمَةُ اللهِ الْمُخَلِّصَةُ، لِجَمِيعِ النَّاسِ، مُعَلِّمَةً إِيَّانَا أَنْ نُنْكِرَ الْفُجُورَ وَالشَّهَوَاتِ الْعَالَمِيَّةَ، وَنَعِيشَ بِالتَّعَقُّلِ وَالْبِرِّ وَالتَّقْوَى فِي الْعَالَمِ الْحَاضِرِ»، هذا هو الظهور الأول. أمَّا الثاني فهو: «مُنْتَظِرِينَ الرَّجَاءَ الْمُبَارَكَ وَظُهُورَ مَجْدِ اللهِ الْعَظِيمِ وَمُخَلِّصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (تي٢:١١-١٣). وعن هذا الأخير يقول النبيّ: «تَتَحَوَّلُ الشَّمْسُ إِلَى ظُلْمَةٍ، وَالْقَمَرُ إِلَى دَمٍ قَبْلَ أَنْ يَجِيءَ يَوْمُ الرَّبِّ الْعَظِيمُ الْمَخُوفُ.» (يوئيل٢:٣١).

ولكن، لماذا لم يُدْعَ يوم **ميلاد ربنا يسوع** باسم: «**الإبيفانيا**» أو «**الظهور**»؛ بل اختُصَّ بهذا الاسم اليومُ الحاضر الذي نحتفل فيه بمعموديته التي بواسطتها قدَّس المياه؟ إذ أنَّهُ تذكارًا لهذا الحَدَث (المُبارَك) يعود المؤمنون عشيَّة هذا اليوم، بعد أنْ تُرشَّ عليهم المياه المقدَّسة، ويأخذون قليلًا منها ويحملونه معهم إلى بيوتهم ويحفظونه طيلة العام. وبعناية **إلهيَّة** منظورة، تبقى (هذه المياه) **سنتين أو ثلاثًا دون تغيير، نقية، صافية، بعد مدَّة طويلة، كما لو كان قد جيء بها في نفس اللحظة. حقًّا إنَّها معجزة مستمرة!!...** فلماذا لم يُسَمَّ يوم ميلادِهِ ظهورًا؟ لأنَّ ذاك اليوم بالحقيقة لم يَظْهَر **المسيح** للجميع. فميلاده كان مخفيًّا، أمَّا الذي أظهره للجموع فهو **عُمَّادُهُ**. وإلى لحظة عمادِهِ لم يكن **يسوع** معروفًا، كما تشهد بذلك **كلمات يوحنا المعمدان**: «فِي وَسْطِكُمْ قَائِمٌ الَّذِي لَسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ.» (يو١:٢٦). ولماذا تتعجَّبون من هذا، بينما **يوحنا** نفسه لم يكن يعرفه بتأكيدٍ إلَّا يوم اعتمادِهِ؟! إذ يقول: «وَأَنَا لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُهُ، لكِنَّ الَّذِي أَرْسَلَنِي لأُعَمِّدَ بِالْمَاءِ، ذَاكَ قَالَ لِي: الَّذِي تَرَى الرُّوحَ نَازِلًا وَمُسْتَقِرًّا عَلَيْهِ، فَهذَا هُوَ الَّذِي يُعَمِّدُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ.» (يو١:٣٣). هناك، إذن، أكثر من ظهور واحد.

لكن، لماذا نال يسوع المعمودية؟ وما هي المعمودية التي قَبِلَها؟

هذا ما سنوضِّحه لكم الآن. لنُحَدِّد أولًا أيَّةَ معموديَّة هذه التي **اعتمد بها**، لأنَّ الإجابة على هذا السؤال تُسهِّل علينا الجواب عن السؤال الآخر التابع له: **لماذا اعتمد؟** علينا أن نُميِّز بين ثلاثة أنواع من المعمودية: فالتي لليهود كانت تُطهِّر ما **يُعتَبَر نجاسة في عُرْف الناموس**، لكنها كانت عاجزة عن: **محو الخطايا التي تُدنِّس النفس، ولا تُنقِّي الضمير من الزنا ولا من السرقة ولا من أية خطيئة أخرى**؛ بل إنَّ الإنسان إذا لمست يده جثة ميِّت أو ذاق لحمًا يُحرِّمه الناموس وتنجَّس حسب الجسد أو تعامَلَ مع الأبرص، فمثل هذا يُحسَب نجِسًا حسب الناموس.

ولكن **معمودية المسيح** ليست من هذا النوع. فامتيازاتها هي من نوعٍ آخر أسمى وأعظم بما لا يُقاس؛ إذ أنها تمحو **الخطيَّة**، وتُطهِّر النفس وتملأها بنعمة **الرُّوح القُدُس**.

أمَّا **معمودية القديس يوحنا السَّابق**، فكانت بالتَّأكيد أسمى من **معمودية اليهود**، ولكنها كانت **خالية** من فاعلية معموديتنا نحن المسيحيِّين. إنها تتوسَّط الاثنين كمعْبَر يوصِّل بين شاطئين متقابلين. اسمعوا كرازة **السابق يوحنا**: هل يوصي الخطأة بالاغتسال بماء التطهير الخارجي؟ **كلَّا!** بل يُطالبهم بالتغيير مِن **الرذائل إلى الفضائل**، ويحثُّهم أنْ يجعلوا رجاءَ خلاصهم في طهارة السِّيرة والأعمال الصالحة، وليس فقط في الغسلات الطقسيَّة. والسِّمَة التي تتفوَّق بها **معمودية يوحنا** على **الغسلات اليهوديَّة** هي هذه: «فَاصْنَعُوا أَثْمَارًا تَلِيقُ بِالتَّوْبَةِ» (مت٣:٨). ومع ذلك، فهي أقل من **معمودية المسيح**، لأنها ما كانت تَهَبُ نعمة الغفران، ولا تمنح عطايا **الرُّوح القُدُس**؛ بل كانت تهتم بالتَّوبة فقط دون أن تمحو شيئًا (**من الخطايا السالفة**). ولهذا يقول **السَّابق يوحنا**: «أَنَا أُعَمِّدُكُمْ بِمَاءٍ لِلتَّوْبَةِ، وَلكِنِ الَّذِي يَأْتِي بَعْدِي هُوَ أَقْوَى مِنِّي، الَّذِي لَسْتُ أَهْلًا أَنْ أَحْمِلَ حِذَاءَهُ. هُوَ سَيُعَمِّدُكُمْ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَنَارٍ.» (مت ٣: ١١).

ولكن ماذا يعني بقوله هذه الكلمات: «الرُّوحِ الْقُدُسِ وَنَار»؟ **أَمَا تعلمون؟!** هل ينبغي أن أُذكِّركم بهذا اليوم الخالد حين نزلت ألسنة نار منقسمة على كل واحد من الرسل؟! (حلول الرُّوح القُدُس) هنا برهان واضح على **قصور معموديَّة يوحنا**.

وأيضًا، تقابَل القديس بولس في رحلاته الرسوليَّة مع بعض التلاميذ، فسألهم: «هَلْ قَبِلْتُمُ الرُّوحَ الْقُدُسَ لَمَّا آمَنْتُمْ؟». قَالُوا لَهُ: «وَلاَ سَمِعْنَا أَنَّهُ يُوجَدُ الرُّوحُ الْقُدُسُ». فَقَالَ لَهُمْ: «فَبِمَاذَا اعْتَمَدْتُمْ؟» «**على اسم مَن اعتمدتم**» فَقَالُوا: «بِمَعْمُودِيَّةِ يُوحَنَّا».فَقَالَ بُولُسُ: «إِنَّ يُوحَنَّا عَمَّدَ بِمَعْمُودِيَّةِ التَّوْبَةِ» (أع١٩: ٢-٤). سمعتم إذن، أيها الأحباء، أنَّ **معمودية يوحنا**كانت للتوبة وليست لمغفرة الخطايا. فلماذا إذن كان يُعمِّد؟ ليُشير إلى مَن سيأتي بعده: «فَلَمَّا سَمِعُوا اعْتَمَدُوا بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ. وَلَمَّا وَضَعَ بُولُسُ يَدَيْهِ عَلَيْهِمْ حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ» (أع ١٩: ٥-٦). فهل نحتاج إلى شهادة أقوى من هذه على **قصور معمودية يوحنا**؟ لأنَّ القديس بولس - **بالمعمودية ووَضْع اليد** - قد بيَّن مقدار سُموِّ المعموديَّة المسيحيَّة عن تلك التي **ليوحنا**.

لماذا تعمَّد المسيح من يوحنا المعمدان؟

بعد هذا الشرح عن الفرق بين المعموديتين، ليس عبثًا أنْ نبحث عن سبب اعتماد **المسيح**، وبأيَّة معمودية **اعتمد! فالمُخلِّص** لم يتقبَّل **معمودية اليهود**، كما أنَّهُ لم يعتمد بمعموديَّتِهِ الخاصة (أي المعمودية المسيحيَّة)، لأنَّهُ لم يكن مُحتاجًا لقبولها حيث إنَّهُ لم يُخطئ خطيَّة تحتاج إلى اغتسال: «الَّذِي لَمْ يَفْعَلْ خَطِيَّةً، وَلاَ وُجِدَ فِي فَمِهِ مَكْرٌ» (١ بط٢: ٢٢). ولم يستطِع أعداؤه أن يدينوه على أيَّة خطيَّة (يو٨: ٤٦). ألم تكن بشريَّتُهُ مُمتلئة من **الرُّوح القُدُس** التي هي من عمله؟ «اَلرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ، وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكِ، فَلِذلِكَ أَيْضًا الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللهِ.» (لو١: ٣٥) حسنًا، **يا ربُّ! فلماذا، إذن، تعمَّدتَ؟**

والآن بعد أنْ حدَّدنا أيَّة معمودية نالها **يسوع**، ستعرفون سبب اهتمامه بتتميمِها! فإنَّ **الرَّبَّ يسوع** قد اعتمد **معمودية يوحنا**؛ ولكن، لماذا **معمودية يوحنا بالذَّات**؟ ليظهر لكم بوضوح من طبيعة هذه المعمودية ونوعيتها أنَّ **يسوع** لم يكن ناقصًا **في الرُّوح القُدُس**، ولا كان مُحتاجًا إلى مغفرة خطايا؛ لأنَّ **معمودية يوحنا** كانت عاجزة عن هذين الأمرين، كما سبق وشرحتُ لكم. إذن، لم يأتِ **المُخلِّص** إلى شاطئ الأردن لنوال عطايا **الرُّوح القُدُس** أو مغفرة الخطايا. فهل جاء بروح التوبة؟ **كلا!** ولا هذا أيضًا؛ بل إنَّ **يوحنا** الذي كان يقول للجميع أنْ يصنعوا ثمارًا تليق بالتَّوبة، تدارَك الأمر قبل أنْ يتطرَّق هذا الظَّنُّ إلى النفوس، فقال **للسيِّد**: «أَنَا مُحْتَاجٌ أَنْ أَعْتَمِدَ مِنْكَ، وَأَنْتَ تَأْتِي إِلَيَّ!!» (مت٣: ١٤). بهذا الإعلان أظهَر أنَّ **المُخلِّص** لم يأتِ تحت إلحاح الرَّغبة في التَّوبة التي كانت تُحرِّك سائر اليهود للمعمودية مِنْ يَدِ **يوحنا**. **فيسوع** أعظم وأسمى بكثير من **يوحنا** من جهة طبيعته (الإلهيَّة)، فكان بلا شكٍّ أقدس منه بكثير (بما لا يُقاس).

إذن، **تحت أيِّ دافع مضى يسوع إلى المعمودية؟** لسببين: أوَّلهما، أظهره التلميذ (أي يوحنا المعمدان)؛ والثاني، أظهره **السيِّد**.

السبب الأول: هو أنْ يكون معروفًا لدى الأُمَّة اليهودية. هذه هي غاية المعمودية التي قَبِلَها **المسيح**. فلو كان مُمكنًا أنْ يصحبَ **يوحنا المسيحَ** إلى كلِّ بيت ويقرع معه كلَّ باب قائلًا: «هأنذا أُقدِّم لكم ابن الله»! لكانت مناداته هكذا موضع شكٍّ ويصعب قبولها. وأيضًا، لو قدَّمه إلى سلطات السنهدريم اليهودي، لَما كانت شهادته مُصدَّقة.» ولكن في حضرة الجموع المحتشدة على ضفاف الأردن، جاء **يسوع** ونال شهادة من الأعالي واضحة ومنطوقة من السماء، وبتأكيد **الرُّوح القُدُس** النازل عليه بهيئة حمامة. كُلُّ هذا جعل كلمات **يوحنا** عن **المسيح** خالية من أيِّ شكٍّ. ولإبعاد كل شُبهة عنها، قال **يوحنا** أيضًا: «وَأَنَا لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُهُ»؛ إذْ قد يُظَنُّ، بسبب القرابة الجسديَّة بين **أليصابات أُم يوحنا ومريم أُم المُخلِّص**، أنها أَمْلَت هذا المديح. ولكن التدبير الإلهي جعل الأمور تتطوَّر بحيث يقضي **يوحنا المعمدان** جزءًا من حياته في البريَّة. «وَكَانَ فِي الْبَرَارِي إِلَى يَوْمِ ظُهُورِهِ لإِسْرَائِيلَ.» (لو ١: ٨٠). فليس إذن، بدافع المودَّة ولا رباط اللحم والدم أو باتفاقٍ مُسْبَق، كان يشهد **ليسوع**؛ بل بإلهامٍ من **الله** الذي كشف له **ابنه**. هذا ما تعنيه كلماته: «أَنَا لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُهُ»!

ومَن الذي عرَّفك به، أيُّها **القديس السابق يوحنا الصابغ؟** «الَّذِي أَرْسَلَنِي لأُعَمِّدَ بِالْمَاءِ، ذَاكَ قَالَ لِي: الَّذِي تَرَى الرُّوحَ نَازِلًا وَمُسْتَقِرًّا عَلَيْهِ (**بهيئة حمامة**)، فَهذَا هُوَ الَّذِي يُعَمِّدُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ.» (يو ١: ٣٣). هذا هو السبب في نزول **الرُّوح القُدُس** بهذه الهيئة. وكأنها إصبع اليد (الإلهيَّة) **مُمتدَّة للأُمَّة اليهودية**، تُشير إلى **الابن** الذي كان **يوحنا** يكرز به ويُعلِن أمجاده.

ونقفُ من **المسيح** نفسه على السبب الثاني: الذي دعاه إلى **معمودية يوحنا**. فبنوعٍ من الاعتراض والاعتذار، قال **يوحنا**: «أَنَا مُحْتَاجٌ أَنْ أَعْتَمِدَ مِنْكَ، وَأَنْتَ تَأْتِي إِلَيَّ!». فأجابه **المُخلِّص**: «اسْمَحِ الآنَ، لأَنَّهُ هكَذَا يَلِيقُ بِنَا أَنْ نُكَمِّلَ كُلَّ بِرّ»، يا لانسحاق العبد! يا لتواضع السيِّد!. تعريف «**البِرِّ**» هو هذا: تتميم كُلِّ وصايا **الله**... وحيثُ إنَّهُ كان على جميع الناس تكميل ذلك **البِرِّ** ولم يتمكَّن أحدٌ من ذلك قبلًا، لهذا جاء **المسيح** وعمله وأكمله. ولكنكم تقولون لي: أيُّ برٍّ في نوال المعمودية؟ كان من اللائق، يا إخوة، أنْ يُطاع النبي. فكما تمَّم **يسوع** الختان، وقدَّم الذبائح، وحَفِظَ السبت، وسائر الوصايا والطقوس اليهوديَّة؛ هل يستعفي من الباقي، فيرذل كلام **يوحنا السابق** الذي يدعو الجميع إلى معموديته؟ **إرادة الله** في قبول اليهود **معمودية يوحنا** واضحة من قوله: «الَّذِي أَرْسَلَنِي لأُعَمِّدَ بِالْمَاءِ»، وأيضًا: «وَجَمِيعُ الشَّعْبِ إِذْ سَمِعُوا وَالْعَشَّارُونَ بَرَّرُوا اللهَ مُعْتَمِدِينَ بِمَعْمُودِيَّةِ يُوحَنَّا.وَأَمَّا الْفَرِّيسِيُّونَ وَالنَّامُوسِيُّونَ فَرَفَضُوا مَشُورَةَ اللهِ مِنْ جِهَةِ أَنْفُسِهِمْ، غَيْرَ مُعْتَمِدِينَ مِنْهُ.» (لو٧: ٢٩-٣٠). فإن كان مِنَ **البِرِّ** أنْ نطيع **الله** الذي أرسل **يوحنا** ليكرز بالمعموديَّة، فبالأَوْلى كثيرًا أن يُسرَّ **يسوع** بالخضوع لها كما سبق وتمَّم أعمال البرِّ الأخرى... لهذا لم يَقُل (المسيح): «يليق بنا أن نفعل هذا الأمر أو ذاك»؛ بل: «أن نُكمِّل كلَّ برٍّ». وكأنه يقول: «يليق بي، وأنا سيِّد الكل ومالك الجميع، أن أدفع وأُسدِّد عن غير القادرين».

فلهذين السببين مضى **يسوع** إلى **معمودية يوحنا** ، لكي يُتمِّم فيها كلَّ برٍّ، ولكي يصير ظاهرًا للجميع.

سيرة القديس نكتاريوس العجائبي

الفصل التاسع والعشرون

(تتمة من العدد السَّابق)

حينئذٍ سَمِعَتْ وقع خطوات بالقُربِ منها ورأت أمامها أُسقف ريزاريو، الأب الرُّوحي والمُرشِد للفتيات اللواتي يُشيِّدن الدير الجديد. فسجدت له وسمعته يسألها بعذوبةٍ.

ــ ماذا تتمتمين لنفسِك يا أُمّي.

ــ أجل يا أُسقفي، كنتُ أتكلَّم وحدي، أنا الشقيَّة. كنتُ أُكلِّم هذه الشجرة التي أردتُ أن أزرعها في مكان أعلى، إلَّا أنَّ ملاكًا دفعني إلى هنا، ويبدو أنِّي سَأُدفن في هذا المكان.

ــ أجل، إنَّها شجرة جميلة، وهي تُزَيِّنُ هذا المكان الوَعِر.

وقفت أناستاسِيًّا حانية الظَهرِ وغارقة في أفكارها. ثمَّ قالت:

ــ حسنًا ... طبعًا، فإذا كان الدير الجديد سَيُشَيَّد في هذا المكان، فإنَّ المقبرة ستكون في مكانٍ آخر، ولكن كيف تُفَسِّر ...

وهنا بَدَّلَ **نكتاريوس** الحديث وقال:

ــ هناك أيضًا سيِّدة تقيَّة تَوَدُّ أنْ تُقَدِّم هبة، وستكون هذه الهبة الأولى: إنَّها ترغب ببناء حُجرتين من أجلِ تسهيل زياراتي إلى هنا، فلا أعودُ مُضطرًا لطلبِ الاستضافة لدى الناس.

ــ عظيمٌ! ما اسمها؟ هل هي من إيچينا ؟

ــ أجَل، إنَّها من إيچينا. إنَّها الأرملة ماريغو كالافري.

ــ آه، إنَّها سَيِّدة عظيمة يا أُسقفي. تبارك الرَّبّ!.

الفصل الثلاثون

«اَلدِّيَانَةُ الطَّاهِرَةُ النَّقِيَّةُ عِنْدَ اللهِ الآبِ هِيَ هذِهِ: افْتِقَادُ الْيَتَامَى وَالأَرَامِلِ فِي ضِيقَتِهِمْ، وَحِفْظُ الإِنْسَانِ نَفْسَهُ بِلاَ دَنَسٍ مِنَ الْعَالَمِ..» (يعقوب ١: ٢٧).

التَقى **نكتاريوس** المتروبوليت ثيوكليطُس صُدفَةً في كنيسة القديسة إيريني، وللمرَّة الثانية أعطاه موافقته على بناء الدير الجديد، وكلَّمه أيضًا عن بعض الفتيات التقيّات من اسبارطا.

لكِنَّ الفتيات كُنَّ يَعِشنَ عيشة صعبة جدًّا في إيچينا، فمرضت كريزَنتيا. وكان **نكتاريوس** يفكر بقبولهن قريبًا في درجة المبتدئات على أن يُلبِسَهُنَّ بعد خمس سنوات الاسكيم الملائكي. ولكن قَساوة

الحياة التي يَعِشْنَها، صارت مصدر حُزنٍ يومي **لنكتاريوس**.

وكانت كاترينا التي ترغب بتحقيق المَآثر، تُذيقُ نفسها الجهادات النُسكيَّة المريرة، ممَّا أدَّى إلى ضعفها الشَّديد. وكان **نكتاريوس** يخشَى أن تُصَاب بأحدِ الأمراض الخطيرة بسبب رطوبة قلايتها. وكان كثير القلق، فأمضَى ليلة كاملة راكعًا وهو يُصَلِّي. ولم يُتعبه هذا التضرع الرُّوحي، بل كانَ يحسُّ في وسط صلاته العقليَّة وكأنَّه في اتصالٍ مع العالم الآخر، ومع الخالق الذي لا يستطيع العالم أنْ يَسَعَهُ.

كان يُصلِّي مِنْ أعماق القلب باكيًا مِنْ أجلِ المخلوقاتِ الضعيفة، هذه **السنائنُ** الفَرِحَةِ (**جمع سنونو، ويقصد بذلك الراهبات**) ومنهنَّ كاترينا التي كرَّست حياتها **للمسيحِ المخلِّص**. وأحَسَّ بأنَّ دموعه تُشير إلى أنَّ **الرَّبَّ** استمع لصلاته واستجابَ لها في الأعالي، أمام عرشه القُدوس. فتوقف عند الفجر، ونهضَ وهو يشعر بنفسهِ مُرتاحًا وواثقًا. فكتب رسالة إلى كاترينا تضمنت النصائح الأبويَّة، ومنها التنبيه إلى ضرورة تفادي النُسك القاسي والمؤلِم الذي يفوق طاقتها على الاحتمال. وممَّا جاءَ في الرسالة:

«يجب أنْ تتناسب أصوامكنَّ مع طاقاتكن الصحيَّة، لئلا تمرضنَ فَتُجْبَرْنَ على ترك الوحدة والذهاب إلى المدن للمعالجة. فالله لن يدينَكُنَّ بحسب طعامِكُنَّ. وأنا أُفَضِّل أنْ تتناولنَ كُلَّ ما هو ضروري لِصِحَتِكُنَّ، فتبقينَ في جَوِّ الوحدة والصلاة، بدل أنْ تَعُدنَ إلى المدن».

وقد أرسَلَ لهنَّ مالًا مع الرسالة وكحولًا، وكم كانت نفسه تتعذَّب لدى معرفته بأنَّهُنَّ يتعبنَ ويمرَضنَ.

أمَّا بالنسبةِ إلى صُغراهُنَّ، أنچيليكِ، فقد كانت تملك ثروة بسيطة ولكنها لم تستطع إحضارها معها لى الدير بسبب عدم قسمة المال بينها وبين أخوتها. فدخلت الدير دون أن تُحضِر معها غير آلة رتق الجوارب التي كانت موردها المالي الوحيد، وكانت تجهد لِكَسبِ خبزها اليومي بهذه الطريقة.

وكان **نكتاريوس** يرغب في تقديم كُلِّ المساعدة اللازمة للفتيات، وفي تأمين حاجاتهنَّ اليوميَّة لكي ينصَرِفنَ إلى الصلوات دون قلق. وتَذَكَّرَ بأنَّهُ دُعِيَ منذُ وقتٍ قصير إلى منزل أناس واسعي الثراء، لِيَمْسَحَ مرضاهم بالزَّيت المقدَّس. وكانوا يقطنون في ڤيلا منعزلة في باتيسيا تمتد أمامها حديقة مساحتها أربعون هكتارًا. وكلُّ ما في المكان كان ينطق بالثراء والرفاهيَّة والبذخ وراحة البال: فقد كان يعجُّ بالبلُّور والفضيَّات والأقمشة الحريريَّة والسجاد والأزهار.

(يتبع)

الجزء الثاني: شهادات عن القديس
خبرات روحِيَّة مع القدِّيس پورفيريوس وعجائب له

شهادات المتوحِّدة خريستونيمفي، رئيسة الدير المقدَّس، دير بشارة والدة الإله العذراء في جزيرة بطمس في اليونان:

(تتمة): وبعد مرور سنة تقريبًا، التقينا مرة ثانية مع اليروندِيسا رئيسة ديرنا الموجودة في أثينا، من أجل الفحوصات الطبيَّة، وقد قمنا بزيارة الشيخ پورفيريوس (وفي هذه المرَّة كُنا سويَّةً أنا المتوحدة خريستونيمفي، واليروندِيسا المقيمة في أثينا).

بعد أنْ تحدَّثت اليروندِيسا أولًا، أخذتُ بَرَكتها وسألت بدوري القديس پورفيريوس عن موضوعٍ يُزعجني، ولم أكن أعرف كيف أتعامل مع هذا الأمر الذي يُقلِقُني. في تلك الفترة كنتُ مسؤولة عن مضافة الدير واستقبال الوافدين إلينا، فقد كان يزورنا العديد من الشبَّان والشَّابات، من التلاميذ والطلبة، والعاملين والعاملات ... الخ ...، فكنَّا نتبادل أطراف الحديث، بعد تقديم الضيافة الرهبانيَّة التقليديَّة. كنتُ أنصتُ صاغية لاسمع مشاكلهم، واحاول مُساعدتهم قدر استطاعتي، فقد كان الكثير مِنْ هؤلاء الزُّوار وبالأخصّ الشباب منهم، يسألونني ماذا يجب عليهم أنْ يختاروا في حياتهم، **الزَّواج أم الرهبنة؟**. كانوا يرغبون في ٱنتهاج وٱتِّباع إحدى هاتين الطريقتين، وكان كلاهما جيِّدَيْنِ ومُبارَكين (**أي الزواج والرهبنة**)، ولكن كانت تواجههم مشكلة ٱتخاذ ٱلقرار، لأنَّهم لم يكونوا قادرين بعدُ على معرفة وتمييز ما هي مشيئة الله في حياتهم الخاصة. فكان الحزن يكتنفهم والحيرة تُربكُهم.

فكنتُ أقولُ لهم: إنَّ عليهم أنْ يفحصوا بتدقيقٍ ما يتفوَّق في داخلهم، أو أين تميل رغباتهم وأشواقهم الداخليَّة، وأنْ يتبعوا هذه المشيئة الكامنة في قلبهم، ومع ذلك فقد كانت الشُّكوك تُراودهم باستمرار، لعلَّ اختيارهم هو اختيار شخصي مَحضٌ، بدون دعوة إلهيَّة، أو لِنَقُل بدون إلهام إلهي، الأمر الذي لربما يقودهم إلى **الٱختيار الخاطئ** ومن ثمَّ إلى الإحباط، أو إلى الفشل الأكيد.

سألتُ القديس پورفيريوس كيف أستطيع مدَّ يَدِ المساعدة؟

فأجابني قائلًا: أتعرفين يا ابنتي المثل اليوناني القائل: «**وأَنْتَ صغير صغير تزوَّج، أو وأَنْتَ صغير ترَهَّب**» (تُرجِمَ حرفيًّا من اليونانيَّة) (ما معناه: ينبغي للشاب وهو صغيرٌ في مقتبل عمره أن يتزوَّج وفيه القوَّة والطاقة، وإلَّا فالأجدر به وهو شابٌ بالغٌ أن يُصبح راهبًا). هل تعرفين ماذا يعني هذا المثل؟ عندما يكون الشخص في ريعان الشَّباب، فإنَّه يكون مُرتاحًا وقادرًا على تحمُّل أعباء البيت وأوزار العائلة، إنَّه يعمل بِجِدٍّ ونشاط، أنْ يُربِّي أطفاله بترويٍ واهتمام وصبر، ويلعب معهم ويعطيهم بما فيه من الوقت الكافي لتنشئتهم، ولكن عندما يتقدَّم في السِنِّ، فإنَّه لا يملك نفس المزاجيَّة كما كان في مقتبل العمر.

والأمرُ نفسه يسري على الرهبنة، عندما يكون الشخص شابًّا أو المتقدمة للرهبنة شابَّة، تستطيع بقليلٍ من الجهاد الشخصيّ مع تعاضد من رئيسة الدير (يروندِيسا) أنْ تُصبح راهبة جيِّدة. أنتم حتى لا تُضَيِّعوا وقتكم هباءً منثورًا، عليكم أنْ تقولوا لهم أنْ يأخذوا إجازة مِنْ مكان عملهم لبعض الوقتِ (إنْ كانوا يعملون) لمدةِ شهرٍ من الزمان فقط. وأنْ يذهبوا لأحد الأديار لكي يُجرِّبوا الحياة الرهبانيَّة عن كثب. بشرطٍ ألَّا يُقيموا خلال هذه الفترة في مضافة الزوَّار **للٱستراحة** ؟ وإنما أن تُدخِلهم رئيسة الدير (يروندِيسا) في برنامج الدير الرهباني، أي أنْ يُلازموا الراهبات في الخِدَم الكنسيَّة والصلوات مِنْ ناحية، وإلى تنظيف وغسل الثياب والأواني، طهي الطعام وتحضير المائدة، العمل في الحديقة أو البستان، الخياطة والتطريز، عمل المسبحات، وسائر الأعمال اليديويَّة التي يقوم بها الدير من ناحية أخرى؛ وباختصار في كُلِّ برنامج عمل الراهبات في الدير، حتى تتكوَّن لديهُنَّ صورة أوضَح عن عُمق وفحوى دعوتِهِنَّ الرهبانيَّة.

عندما يُصادف بعض الشُبَّان أو الشَّابات معارضة مِنْ ذويهم للذهاب إلى الدير لفترة تجربة (شهرٌ واحدٌ)، عليهم القول لهم إنّهم ذاهبون لخلوةٍ روحيَّة، أو بهدف اختيار حرفة وتعلُّمها (مثل رسم الأيقونات، أو التطريز). عندها سترينَ أنَّ الشخص (شابٌّ أم شابَّة) الذي لا يمتلكُ دعوة حقيقيَّة إلى حياة الرَّهبنة، يبدأ بالتأفُّف والضَّجر، ويطلب العودة إلى العالم بعد مرور أسبوعين على الأكثر تقريبًا. يشعر كأنَّهُ أَسدٌ مسجونٌ داخل القفص، وهو بانتظار أنْ يُفتَح الباب بفارغِ الصَّبرِ، لكي يهرب ويغادر القفص سريعًا.

وبالطبع في هذه الحالة ليسَ مِنَ السَّيِّءِ أنْ يقيم الشخص حتى انتهاء فترة الشهر، لأنَّهُ سوف يتأثَّر بشكلٍ إيجابيّ، فينقل ويأخذ معه ثمارًا صالحة وجيِّدة مِنَ الدير إلى حياته العائليَّة في المستقبل. فنحنُ في أَمَسِّ الحاجة إلى أربابِ عائلاتٍ صالحين، وأيضًا إلى رهبان وراهبات صالحين. في نهاية مدَّة الشهر أي مدة الاختبار، على رئيسة الدير (يروندیسا) أنْ تدعو الفتاة المبتدئة، وبعد رشمها بإشارة الصليب على رأسها، عليها أنْ تقول لها: «لقد انتهت فترة التجربة خاصتك، فعليكِ العودة إلى بيتك وعائلتك، فتابعي جهادَكِ بِجِدٍّ ونَشاط. لقد اختبرتِ بذاتِكِ وبِنفسِكِ على أنَّكِ غير قادرة على البقاء في الدير، فعليكِ إيجاد شابٍّ فاضِلٍ، لكي تُشَكِّلي معه عائلة مسيحيَّة صالحة».

بعدها تابع القديس بورفيريوس بقوله: « وحتى لو فشلت بالزواج لاحقًا، فَلَنْ يُؤَنِّبَهَا ضميرُها على أنَّها لم تَصِر راهبة، طالما أنَّها لم تستَطِع البقاء في الدير لمدَّة شَهرٍ واحد منذ البداية».

أمَّا الفتاة التي لديها دعوة حقيقيَّة للرَّهبنة، فبعد مرور اسبوعين من إقامتها في الدير، فإنَّها تبدأ بالارتباط مع المكان، وتجذبها هذه الحياة الملائكيَّة، وبعد انتهاء فترة التجربة، تستدعيها رئيسة الدير (يروندیسا) وبعد رَشمها بعلامة الصليب على جبينها ستقول لها: «يا ابنتي عليكِ أن تعودي إلى بيتك، وإنْ كانت لديك الرغبة، وأنَّك تنجذبين إلى هذه الحياة الرَّهبانية، تستطيعين المجيء إلى الدير ثانيةً، في فترة أعياد الميلاد المجيد **لمخلصنا يسوع المسيح**.» وبعد ذلك تغادرين الدير، ثمَّ تدعوها للمجيء في فترة **الفصح المجيد**، وبعدها تدعوها ثالثَ مرَّةٍ إلى المجيء في فترة **صيام العذراء والدة الإله الدائمة البتولية مريم وعيد انتقالها إلى السماء**، أي في شهر آب.

إذا أرادت الفتاة البقاء في الدير، وأنْ تمرَّ في تجربة نظاميَّة مقرونة **بِمَحَبَّةِ وبَرَكة رئيسة الدير والراهبات وطول أناتِهُنَّ**، لمدَّة ثلاث سنوات ، وإن تَجاوزت **فترة الاختبار** هذه بنجاح، فإنَّها تصير راهبة، وإلَّا فإنَّها تُغادر الدير، وترجع إلى العالم.

والحقيقة التي تقال أنَّه من خلال التزامي وتَقَيُّدي بوصايا ونصائح القديس بورفيريوس، والتي كنتُ أنصحها للشبابِ والشَّابات، استطاع الكثيرُ منهم أنْ يجدوا دعوتهم وأنْ يختاروا ما بين **الزواج والرهبنة**. وجميع الذين اختاروا الحياة الزوجيَّة كانت تربطهم علاقات جيِّدة ومتينة مع **ديرنا العامر، دير بشارة والدة الإله في جزيرة باتموس**، وهنَّ يخدمن أخويتنا بمحبة وامتنان.

التتمة في العدد القادم

الحياة النُسكيَّة في جبل آثوس مَعْقِل الرُّوميَّة الأرثوذكسيَّة، مقرونة بالصَّوم والصَّلاة المتواصلة في الأديرة العامرة التي يبلغ عددها عشرون ديرًا كبيرًا، بالإضافة إلى القلالي، والميتوخي، فهناك ما يتجاوز ال ٢٠٠ قدَّاس إلهي تُرفع يوميًّا بحرارة، بالاضافة إلى صلاة الابتهال للعذراء – البراكليسي، وصلاة الغروب ، والساعات الكبرى، وصلاة النوم ... – إنَّها شعلة متَّقدة من الصلوات المستمَّرة.

القديس بورفيريوس الرائي

علينا أنْ ننتبه كي لا نتذمَّر من الأشخاصِ الذين يؤذوننا، بل فقط أنْ نصلي من أجلهم بمحبة، ومهما يفعل الآخر فعلينا ألَّا نفكِّر بالسُّوءِ تُجاهه، بل لنصلِيَنَّ دائمًا بمحبة ولنفكرَنَّ بالخير .

لا يجوز أنْ نفكر دائمًا أنَّ الله سيُرسل أَذِيَّةً ما للشخصِ الآخر او سيعاقبه من أجل خطاياه. هذا التفكير يجلب أَذًى عظيمًا دون انْ نعي ذلك. في كثيرٍ من الاحيانِ نتذَّمر ونقول للشخص الآخر: الَا تخاف الله من اجلِ مافعلته.؟ أو ان نقولَ: يا الهي لا تُؤذِ هذا الإنسان لأجل ما فعله أو لا تجعله يُصاب بهذه المحنة.

في كُلِّ هذه الحالات، نحن نملك رغبة في داخلنا بمعاقبة الآخر، فبدل أنْ نقِرَّ بِغَيْظِنَا، نُظهر استياءنا بطريقة أخرى مبادرين الى التضرُّع من أجله، لكننا في الواقع نَلْعَنُ أَخانا بهذه الطريقة .

عندما نتكلم بالسوءِ تخرج منا قوَّة شرِّيرة وتنتقل إلى الآخر كما ينتقل الصوت بواسطة الامواج الصوتيَّة ويصاب الآخر فعلًا بالأذى، أي يحدث ما يُشبه حسد العين. عندما يفكِّر الإنسان أفكارًا سيِّئة نحو الآخرين، فهذا يتمُّ بسببه تذمُّره الداخلي، وينتقل الشرُّ الذي في داخله بطريقة سريَّة. الله لا يسبِب الشُّرور ولكن الشرَّ كائن في الناس، والله لا يعاقب، بل نيتنا السَّيئة هي التي تنتقل الى الآخر سِرِّيًّا، وتسبِّب له الأذى، المسيح لا يريد الشَّر أبدًا، بل على العكس يوصينا بقوله:

«أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ» (مت 5: 44).

يا **ابنَ الله** افتحْ لي بمَحَبَّتِكَ البَابَ العَظيم، أنك **أنتَ الباب والطريق والحقّ والحياة** للسائرين إليك. أيُّها الرَّفيق الصَّالح الأمين، إنِّي لسائرٌ معك إلى مُرسِلِكَ، إلى **أبيك السماوي**. إنَّ **للشِّرير** أتباعًا كثيرين ولن يكون لهذا **الشِّرير** نصيبٌ بعدُ في عالمي الجديد. لقد سَلكتُ طريقه السَّهلة فأعمتني الغِواية وضلَّلتني حِيَلُهُ، فوقعت في أشراكه ومن ظلام الهاوية رأيت نورك البهيّ ساطعًا كالشَّمس، وسمعتُ صَوتَكَ الفضيَّ يناديني بمحبتِهِ، فنفضتُ عني **لُحاف الظلمة** وانتصبت واقفًا، وَسِرْتُ إليك مستندًا إلى عُكَّازِ رحمتك، ومدفوعًا بعظيمِ إيماني بمحبتك التي لا تُحَدُّ. إنَّ **نفسيَ لمريضَةٌ** سألتُكَ أنْ تأتي إليها. طلبتُ منك أنْ تفتقدها، فلبيتَ طلبها ودخلتَ مخدعها (**مخدع النفس**). لقد فعلتَ بها كما فعلتَ بحماةِ بطرسَ. لقد مسكتَها بيدها (**بيَدِ النفس**) كما مسكت بيدِ تلك (**حماة بطرس**)، فقامت على قدميها لتخدمك. إنَّ الخطايا كانت تحيط بها كما تحيط الأمراض بالرَّجُلِ العليل، والجراحات كانت تنزف الدَّمَ من كثرة السِّهام التي رماني بها **الإثمُ**، فما أرحمك يا الله. لقد غفرتَ مآثمي، فانطفأت فِيَّ حرارة الأهواء، وَضَمَّدْتَ جراحي، فانقطع النَّزيفُ، وأحببتني، فعاد إليَّ جمالي ونقاوتي وحرِّيتي.

لقد كانت إرادتي وحدها تمنعني من تحقيق هذا الفعل العظيم. كم طلبت من هذه الإرادة أنْ ترجعَ عن **الشرور** فلم تقبل. كنتُ كلَّما مِلتُ إلى الصَّالحات أشعر بأنَّ قوةً تدفعني إلى فعل **الشَّرِّ**، وكلَّما أبغضتُ **الإثمَ** فعلته. إرادتان تعملان فيَّ الواحدة تُضاد الأخرى، إرادة الخير وإرادة الشرّ. وكثيرًا ما كنتُ فريسةً للإرادة الأخيرة لأنَّها قويَّة بالنسبةِ لضعف الإنسان، والضعف يستهويه، ولكني عندما التجأت إليك يا **يسوعي** شعرتُ بأنَّ ضعفي كان وهمًا وإرادتي **الشَّريرة** كانت ضعفًا بالنسبة ليمينك القويَّة، وضراوة الإثم دخانًا من حطبٍ رَطِبٍ **بَلَّلَه الشِّرير**. ورأيت نقاوة صورتي بعد أنْ أعدتَ إليها صَفاءها وغسلتها بمائك المقدَّس، فانزاح الغبار عن صفحتها. وسكبتَ ينابيع غفرانك في الجروح التي انفتحت تحت **ضربات الشِّرير** لتملي هاوياتها السَّحيقة بفيض شلَّالات غُفرانك. ومسحتَ بيمينك بَاصِرَةَ النفس فانفتح أمامها الأفق بِطُهْرِهِ ونقاوته وجماله، وشعرتُ بتصاعد التهاليل من أعماقي. ورأيتكَ وأنت تبتسم لتوبتي فسبَّحتكَ بمحبة، ومجَّدتكَ بجلال، وقدسّتكَ بطهرٍ، وغنيَّتكَ نشيدي بصفاء روحٍ ونقاوة قلب.

كنتُ خاطئًا، ففتحتَ لي أبواب التوبة. وباب التوبة مفتوحٌ والطريقُ سهلٌ للذين يهربون باختيارهم. والمرضى يجِدُون أدويتهم أمام الباب القائد إلى الحظيرة المقدسة، والدَّواء محبَّة وحنان وغفران، وهذه الأدوية تشفي الذين يريدون، مُخلَّعين كانوا أم عُميانًا، وتضعُ حدًّا للمرض الرُّوحي. والذين يموتون روحيًّا يجدون الحياة. إنَّ الذين سلكوا طريق **الرَّبِّ** أقامهم **الرَّبُّ** من بين الأموات، والذين اشتركوا في موت **المسيح** يقيمهم الله في مجده الظافر. فأينَ هو الجرحُ العميق الذي لا يُشفى؟ وأينَ هي العين التي لا تَرى؟ وأين هو الكسيح الذي لازم سريره؟ إنَّ الذين يؤمنون ولا يريدون أنْ يشفوا طاردهم المرض وأقعدهم. أمَّا الذين قالوا **للرَّبِّ**: افتح لنا يا الله، افتح لنا إنَّنا مؤمنون، نالوا ما أرادوا. فاستحال الطين نورًا في عَيْنَيِ الأعمى، واستعاد اليعازر الحياة، وحمل المخلَّع سريره، وعاد الى مريم المجدلية توازنها الداخلي، وجعل من شهواتها عطرًا سكبته على أقدام مخلِّصها، وصارت مَثَلًا للتحرُّر الرَّاقي المُعْتِقِ والمخلِّص. أولئك الذين لا يؤمنون يتخبَّطون بظلماتهم. فلا هُم بانسياب النور إليهم يشعُرون، ولا بدبيب الألوهَةِ في داخلهم يحسُّون، ولا برحيق الحياة الطافح من كأس الحياة الخالدة يلتذون، ولا الصوت المجلجل في أعماقهم يسمعون، ولا بالدَّمِ المراق والجسد المسفوح (**الدم المراق من الجسد**). دم التجديد وجسد القوة الخلَّاقة يشتركون، إنَّهم كالصخر المصقول المنحني على الهاوية، يستقبل خير السماء ويقذفه إلى الوادي المظلم، ولكن الله الرحيم يطيل أناته، فهو **أبٌ**. **والآبُ** يحبُّ ويغفر ويرحم. وهو في حبِّه كريم جَوَّاد يحب الخَطَأَةَ ويذهب وراءَهُمْ. فإنْ هم جَدُّوا المسير مبتعدين، طاردهم حتى إذا أضناهم المسير وأقعدهم التعب، وجرحت أقدامهم الأشواك حملهم على كتفيه وأعطاهم قدميه ليسلكوا إليه على أقدامه، فاتحًا طريقهم بنفسه ومضمدًا لجراحاتهم العميقة بيديه، يتعهدهم بالرِّفق والحنان، ويطعمهم من جسده، ويسقيهم من دمه حتى يساهموا بإعادة البنيان الذي تداعى تحت ثِقَلِ الخطيئة.

إنَّ التوبة عمليَّة عظيمة، إنَّها صورة واضحة لتقدُّم الإنسان في عالم الحريَّة، وبعثٌ لها، ومساهمةٌ في الخليقةِ الجديدةِ، وإعادة نحت التمثال العظيم الذي سقط وتكسَّر وتشوَّه. إنَّها القوَّة التي تَفيض دموعًا وتتحرَّك تحت إشعاعات الفيض الإلهيّ، كما تتحرك مياه المحيطات تحت تأثير

القمر، وهكذا تتعانق اللُجج وتلتقي الإشعاعات، وتتعرّى الصورة من أقنعتها، ويغرق الجزء في محيط الكُلّ، ويعانق الكُلّ المحبّة في وحدة الغاية والهدف، وتتمُّ عمليَّة الخلاص بالوحدة الإلهيَّة، ويصبح الإنسان **كلمة للكلمة المتجسد**، وإبداعًا في عالم الخلاص البشري. إنَّ عمليَّة التوبة تبتدئ بالدموع. والدموع تغسل الأوساخ المتراكمة في طريق البصيرة، وتنتهي بتركيز الإرادة في طريقها الصحيح، وتعيد صورة اللاهوت إلى جمالها القويم ونورها المشرق، والإرادة الملتوية إلى طريقها القويم.

والتوبة محبَّة تستيقظ بعد **زيقانها (زيقان = خط أو شريط ما يحيط بها)** . وهي محبَّة تحطِّم الحواجز، محبَّة لا تسقط أبدًا، محبَّة مُبَطَّنَةٌ بالدُّموع، والتائبون يشربون من دموعهم كوثر الفرح العظيم **(كوثر = الكثير من كُلّ شيء)** ويأكلون طعام الأزل الخالد. بعكس الخطيَّة التي هي انحراف عن الطريق السَّويّ، وفوضى في مجاري علاقات الإنسان مع نفسه، وتُقلِّص في حرارة النفس ودفئها، لابتعادها عن النَّار المطَهِّرة بالمحبَّة والعدل، وجفاف في ينابيعها الدَفَّاقة لابتعادها عن النبع الغزير، وَعَمَّى يُحَوِّلُ الحقائق إلى ظُلمات تتكَدَّس في مجاري الحياة الباطنة، فتصبح مع الزمن كيانيَّة في الكيان الإنساني، لها مفعولها وقوتها ومراميها وغاياتها. وهكذا يتقوَّى **سلطان الشيطان** في الإنسان، ويصبح الإنسان ألعوبة بيده، ويصبح الفردوس المفقود مفصولًا عنه **بملكوت قائم مظلم**، خَلَقَهُ **كبرياء الإنسان وغروره ومطامعه**، وتخطي هذا الملكوت يتمُّ عن طريق التوبة المُتَّضِعَة، التوبة الواعية، التوبة المارقة من أتون الألم المطهِّر والفاصلة جذريًّا ما لا يكون عن الحقيقة التي يجب أنْ تكون، والدافعة لكل القِوَى الروحيَّة نحو الهدف المنشود الذي من أجله خُلق الإنسان. وبدون هذه التوبة لا يمكن أنْ تعودَ للنفس أصالتها، ولا يمكن أنْ تتمتَّع بحرِّيتها. لأنَّ التوبة تفكيك لكل العِقَالات **(القيود)**، وتحطيم لكل القِوَى الواهية، وانفتاح جديد على عالم الجمال الأزليّ، وحبٌّ عميقٌ للمثالِ يتجه تصاعديًّا نحوَهُ، **للاتحاد** به والتَّمتع بجمال الحريَّة الحقيقيَّة. والتوبة محبَّة مستيقظة. وَحُبُّ الحريَّة بمعناه الجوهري هو الدافع لهذه اليقظة الروحيَّة، أو بالأحرى لهذه الثورة الكيانيَّة على أوضاع قلقة مضطربة لتحرير الكيان من فضلات دخيلة على جوهره. فالتوبة بمعناها الحقيقي تحرُّر ومحبَّة وثورة وخلق وإبداع: تحرُّر من عبوديَّة ومحبَّة لأزل **(أزل = ضيق أو فقر)**، وثورة على حالة بائسة وخلق في بنيان هدمته الإرادة المريضة. وهي كذلك **معموديَّة مستمرة** تحمل في داخلها قوَّة التجديد والإبداع، والتَّائب يغسل خطاياه بدموعه. ومعموديَّة الدموع تحمل قوَّة الغفران بالنعمة التي تستدرُّها الدموع، وَتُجسِّد الثالوث **(العلاقة بين الأقانيم الثلاثة هي علاقة محبّة)** بالمحبَّة المتجهة نحو الثالوث، وتنصُب بين الأرض والسماء سُلَّمًا كسلَّمِ يعقوب، يربط الأرضَ بالسَّماء، يصعد عليها التائبون إلى الحظيرة المقدسة، ويحدث من جراء عمليَّة التوبة طوفان مدمِّر يغمر كُلَّ ما فينا من زائد ويدمِّر كُلَّ بنيان الخطيئة، لتبقى الصورة بعد غسلها بالدُّموع بَرَّاقة لمَّاعَة نقيَّة، يعود إليها عملها لتساهم بالنعمة بعمل التجسُّد الخلاصيّ، وتشارك **الكلمة** التجسُّد المستمر، حياة بالدم والجسد في **تحرُّر الإنسان** من **سلطان الشَّرِّ البغيض**.

(النصّ التالي جزء من حديث مُسجَّل للشيخ يوسف الفاتوبيذي، يظهر فيه عمل الرُّوح القُدُس، حيث أنَّ الشيخ الأُمِّيَّ نسبيًّا يُعبِّر عن أمور لاهوتيَّة بلغة قريبة من كُلِّ الناس، تعكس عَيْشَهُ للحياةِ الروحيَّة التي يحكي عنها. يذرف الشيخ دموعًا غزيرة أثناء حديثه، وهذا بحدِّ ذاته صورة عن عمل الرُّوح القُدُس.)

نبدأ اليوم بأعظمِ احتفال، ولن نتمكن أبدًا من التعبير عنه بالكلمات... توسَّلنا إلى **مسيحنا** ليسمح لنا بالسُّجود للأرض حيث وُلِد وللخِرَق التي غطَّته، أنْ نعانقَ بوقارٍ **أُمَّه الفائقة القداسة** التي حضنته. كل هذا يا أعزائي لأيِّ غرض؟

هنا يكمن الأمر الخارق الذي إذا تمكّن الإنسان من إدراكه، يصير أكبر سببٍ لتقدُّمه الرُّوحي، ويقظته من بلادَة عدمِ الإحساس.

إنَّهُ هو اليومَ كطفلٍ في العالم البارد. هو الذي به كان كُلُّ شيء. لقد صَنَع الكون، كُلَّ ما يُرى وما لا يُرى، المادي وغير المادي، وصنع كُلَّ شيء آمِرًا بجبروته، كسيّدِ كُلِّ شيء. أمَّا الإنسان فقد صنعه بيديه. أراد عملَ نسخة من النموذج الأول. في حين أنَّ كُلَّ شيءٍ، كما ذكرتُ، قد كُوِّن بأمرِه، حتى **الملائكة**. تَرَون أنَّهُ خلق الإنسان بيديه، وهو يفتخر به، ويثبت أنَّهُ صَنَعَه «على صورته ومثاله»، وبالتالي جعله مُتَقَبِّلًا لِكُلِّ الصِّفات **الإلهيَّة**.

لكنه مع هذا أوصى. لم تكن هناك حاجة لأمر، وأريدكم أنْ تكونوا منتبهين لذلك. بالتأكيد أوصى **اللهُ آدمَ** بحفظ الطاعة والاستكانة

للسُّلطان، لمرشده، لأبيه وبألّا يأكل مِنَ الثمرة المحرَّمة التي **تُولِّد الموت والفساد**. لم تكن تلك أوامر تُعطَى بطريقة إكراهيَّة كالتي يستخدمها الرئيس لمخاطبة مرؤوسيه. **كونوا منتبهين لذلك** لأنَّها أساس نَكْبَتِنا كما هي أساس رجعتِنا إذا كُنَّا نسعى إليها.

كُلُّ شيءٍ سببيّ، وعلى هذا النحو تمَّ إنتاج البَشَر من سببٍ أوَّل، ولا يمكنهم الصمود أو البقاء من دون أنْ يكونوا في علاقة مستمرة مع السبب الأول. كمثالٍ، فكِّروا في الفروع التي تنمو من شجرة جميلة. إذا قطعنا هذه الأغصان ثم وضعناها في الماء وقمنا بإضافة الأسمدة، تبقى عاجزة عن البقاء على قيدِ الحياة. بمجرَّد أنْ تتخلَّى عن الجذع، يصبح من المستحيل عليها البقاء على قيد الحياة. وبالتالي، فإن طاعةَ والتزام جميع الكائنات التي خُلِقَت بالصَّلاح الإلهيّ، يجب أنْ يكونا في شكل عملي يُؤهل هذه الكائنات لامتلاك قوَّة الكينونة والوجود. وإلَّا فهذا مستحيل... **وانتبهوا للأهميَّة**.

إنَّ **الشَّيطان** الذي كان السَّبب الأول للخسارةِ، لأنَّهُ **ارتد** عن الله **ليصير إلهًا بذاته**، فقد **هلك على الفور** تمامًا دون أمَلٍ في العودة. ثمَّ، بدافع الكراهيَّة، يخدع الإنسان بِقِلَّةِ خبرته. انخدع الانسان واستمع لما قال له **الشَّيطان**. فانقطع على الفور عن السبب (**كلمة الله**). ونتيجة لذلك يسقط الإنسان ويفقد شخصيته ويُنفى إلى **أرض الفناء والموت والضياع وكل الشرور** التي تحيط بنا. كل هذا نتيجة **العصيان**. إنَّ السبب العملي هو **الكبرياء** لأنَّهُ انخدع من **الشَّيطان** بأنَّهُ **يصير إلهًا** بدون الله.

السبب الثاني هو الأنانيَّة وحبُّ الذَّات، لدرجة أنْ كان عليه أنْ يأكل مما يحبُّه. **كُلُّ هذه الأنانيَّة وحبُّ الذَّات هما سبب الدمار وجذر اضمحلال** الكون كلّه.

كان بإمكان **إلهنا** وأبينا الواسع الرحمة، بعد ارتدادنا، أنْ يأخذ حفنة من الأرضِ وينفخ فيها مرة أخرى ويصنع إنسانًا آخرُ. لكن هذه ليست عاطفة الأب وقدرته. لم يفعل ذلك! بدلًا من ذلك، قرَّر أنْ يأتي بنفسهِ، ليعيدَ بنفسهِ الذي خلقه بيديه، ويعطيه ما وعده به منذ البداية. هذا هو سبب **تجسّد الكلمة الإلهيَّة**. كان لابُدَّ أنْ يأتي **الله، هذا الخالق**، ليعيد التوازن. ليس بطريقة إلزاميَّة، بل بطريقة أبويَّة. كما تَرَون، لتحقيق ذلك، كان عليه أن يتواصل وجوديًّا مع **أقنوم الإنسان**.

ومع ذلك، لم يستطع أنْ يتواصل مع **الأقنوم البشريّ** فوجدنا أنفسنا في **ناموس الانحلال والموت**. من أجل هذا، قرَّر وجهَّز مُقدِّمًا **الابنة المقدسة، والدته**. منذ أن كانت طفلة صغيرة أخذها في قدس الأقداس وهناك اعتنت بها **الملائكة**. ليس فقط أنَّها لم تعمل شرًّا وحسب، بل حتّى لم تفكِّر به. في **عظمة نقاوتها، أصبحت هذه الابنة الفائقة القداسة** السببَ الذي جعل الله يقبل أن يُدخِلَها، ليأخذ من طهارتها الإنسان الجديد لا **السَّاقط**.

إنه يأتي ويأخذ من **أمِّه الفائقة القداسة، من أحشائها الداخليَّة، من صفاء نقاوتها، من الدم الشريف والفائق القداسة**، في البداية أقنومَه، فيتجسد ويبدأ في تشكيل شكله الإنساني. لكن انتبهوا إلى إخلاص هذه الابنة وإلى أي مدى يدين لها المجتمع. **هذه الابنة الممتلئة نعمة**.

بهدف التعاون الكامل، عندما قرر الله الفائق الصلاح أنْ يفعل ذلك، تنازل ليسأل الابنة عما إذا كانت ترغب... الله ذو القدرة المطلقة، الذي اعتنى بها داخل قدس الأقداس وحرسها هناك فقط من أجل هذا السبب. ها هو لا يتدخَّل دون أنْ يسألها. حتى تتمكن أيضًا من إثبات صوابيَّة العودة **ومعرفة الله**.

ثم **قال لها الملاك**: «ستصيرين أُمًّا وتلدين ابن الله.» فسألت: «كيف يكون هذا ممكنًا وأنا عذراء؟»

قال لها الملاك: «سيأتي ملاك الرَّبّ ويحل فيك نعمة الروح القدس وما سوف يحدث سببه الله نفسه الذي سوف يتجسّد.»

فقالت الفتاة الصغيرة: «أنا أوافق. فليأتِ، فلتكن مشيئته». **انتبهوا للدِّقة!** فمن ثمَّ تلقَّى الله الطبيعة البشرية. «أخذ الطبيعة»، بمعنى النقاء الذي هو أساس الروحيَّة التي هي مركز شخصية الإنسان وجميع الكائنات العاقلة.

إنَّهُ **يحفظ أمه العذراء**، تمامًا كما استقبلها، فهو يبقى نقيًّا وبتولًا ولم يتواصل مع الانحلال والسقوط حتى يكون المُجدِّد و«المرمِّم». كيف له أن يخلق عدم الفساد إذا كان في شركة مع ناموس الانحلال؟

من أجل خلاصنا، عانى من هذه التجربة التي لا يمكن تصوُّرها والتي يستحيل وصفها، لا في العالم الحالي وحسب، بل أيضًا في الأبديَّة بكليَّتها. إنَّهُ تنازُل **الإله الكلمة**، تجسّد **الإله الكلمة**.

الله كما نؤمن هو الثالوث الأقدس. هو **الآب والابن والرُّوح القُدُس**. هو في ثلاثة أقانيم ولكن بطبيعة واحدة. كان على أحد هذه الأقانيم الثلاثة أنْ يقوم بهذه المهمة، **والابن** كان الأنسب لذلك. مَن كان يُدعى **ابنًا**، ابن **الآب**، كان عليه أن يصير ابن **الإنسان** حتى يظلّ الأقنوم كما هو. أنْ تكون ابنًا لله وابنًا **للإنسان**، هذا هو الإنسان.

انظروا إلى هذه النقاوة، **هذه الفتاة العذراء التي بمثل هذه الطهارة تبسط يديها لتتلقَّى الإله الكلمة من يمين الإله والأب**. تلك التي لا تليق بها الطبيعة كلها. **الفتاة تبسط يديها وتأخذه وتضعه في داخلها** ليتلقَّى الطبيعة البشرية. «فَقَالَتْ مَرْيَمُ: «هُوَذَا أَنَا أَمَةُ الرَّبِّ. لِيَكُنْ لِي كَقَوْلِكَ». فَمَضَى مِنْ عِنْدِهَا الْمَلاَكُ.» (لو ١: ٣٨). لا ننسَيَنَّ هذه الأمور يا إخوتي! فهي تمَّت من أجل **تجديدنا وخلاصنا!**

ولكن كون **سبب الكارثة** هو أنانيَّة الإنسان ومحبته لذاتِهِ. كان على **الإله الكلمة** أن يقوم بدوره، لمواجهة الكارثة، ولاقتلاع الأنانيَّة ومركزيَّة الأنا...

هذا هو سبب **آلامه الفائقة القداسة**. لقد تنازل حتى الصلب والألم والحزن لكي يقتلع جذور اللذة التي خلقها الإنسان **في عصيانه**. تواضُع... كيف يمكنني أن أصف بالكلمات...

أنْ تضطر كُلُّ الخليقة التي لا يمكن وصفها، وهو الذي يحكمها ويأمرها، أنْ تتواضع في القلب لا في المظهر وحسب، من أجل اقتلاع الأنانيَّة البشريَّة واستعادة التوازن... إنَّهُ سِرُّ الأسرار.

كيف يمكن أن نتفاعل مع الشكوك حول الإيمان

القديس ثيوفانس الحبيس

تقريبًا، لدى كُلِّ شخص شكوكٌ حول الإيمان في وقت أو آخر. مع ذلك، مِنَ الممكن تبديدها بالحُجج المتعارضة التي تؤكد حقيقة الوَحْي الإلهيّ في ما يتعلَّق بالعالم والبشريَّة: نظام الكون وتناغمه، معجزة الحياة، كُلُّ عجائب الله وقديسيه الخارقة للطبيعة والرائعة، وقبل كُلِّ شيء شهادة ضمير النفوس الحسنة النيَّة الطاهرة.

إنَّ أعمال الله، التي هي دليل على رعايته التدبيريَّة، متعدِّدة الأوجه. منها وجه واحد واضح للغاية، وجه آخر مضيء وحكيم، آخر غير شفاف ويصعب فهمه. مع ذلك، هناك شيء آخر مُظلم، وبالتالي فهو غير مرئي. هذا هو الجانب الأخير الذي يثير الشُّكوك. ولكن هذا نتيجة لحقيقة أنَّ الرَّبَّ رتب الأمور على هذا النحو لاختبار مدى صحة بحث نفوسنا عنه وما إذا كنا متواضعين. كما ترون، لا يمكن الاقتراب من الله وأعماله ومعرفتهما إلَّا من خلال التواضع.

أنتم تؤمنون أنَّهُ حيثما يكون الله وحقيقته موجودون، أي في كُلِّ مكان، يجب أنْ يفيض كُلَّ شيءٍ بالنُّور، ويجب أن يكون محسوسًا بالحواس، ومُلهمًا للنفوس بقوَّة، ومُعلنًا لاهوته بصوت عالٍ. ألَا ترون أنَّكم، بالتفكير بهذه الطريقة، تحاولون تحديد الطريقة التي يجب أنْ يتصرَّف بها الله؟ أنا متأكِّد مِنْ أنَّكُم توافقون، أنَّ هذا لا يمكن تصوُّره، لأنَّهُ لو حدث ذلك فإن النظام الطبيعي للأشياء برُمَّتِهِ **سوف ينهار**.

إنَّ أعمال الله إلهيَّة في حَدِّ ذاتها، لكن لاهوتها مخفي بحجاب غير مرئي. لماذا؟ لنْ أقول أكثر من هذا: هذا ما أراده الله. لا يمكن تمييز مشورات المحبَّة والحكمة الإلهيَّتين. ومع ذلك، ليس هناك شكٌّ في أنَّ هناك جمالًا لا يوصف ووفرة من النُّور خلف هذا الستار الذي يمنع غير المؤمنين من رؤية الحقيقة. يقول القديس بولس: « لأَنَّ أُمُورَهُ غَيْرَ الْمَنْظُورَةَ تُرَى مُنْذُ خَلْقِ الْعَالَمِ مُدْرَكَةً بِالْمَصْنُوعَاتِ، قُدْرَتُهُ السَّرْمَدِيَّةَ وَلاَهُوتُهُ، حَتَّى إِنَّهُمْ بِلاَ عُذْرٍ» (رومية ١: ٢٠). لكن على يدِ مَن؟ فقط أولئك الذين يؤمنون وقد اقتنوا حُسن النيَّة. وبالطبع، ليس أولئك الذين يؤمنون شكليًّا، بل الذين يعيشون بطريقة تُرضي الله.

عليكم أنْ تكسروا حَبَّة البُندق لتأكلوا النواة اللذيذة والمغذيَّة. الرَّبُّ لا يكشف أسراره للجميع، ولا يُلقي الدُّرر أمام الخنازير (مت ٧: ٦).

لهذا السبب، عندما تحدَّث إلى الناس عن مملكته، ضَرَبَ لهم الأمثال. إنَّ الذين اقتنوا الإمكانيات الروحيَّة فهموها وأنارَهم الحقّ.

عندما تسقط البذور في الأرض، تعتقدون أنَّها تتعفَّن وتضيع. ولكن بالقوَّة التي وضعها الله فيها، فإنَّها تنبت وتنمو وتنتج بكميات كبيرة. وينطبق الأمر نفسه على بذور **الكلمة الإلهيَّة**. إنها مزروعة في قلوب كُلِّ البَشَر، لكنها تنبت فقط في **القلوب الخصبة**.

حقيقة أنَّهُ ليس يؤمن الجميع، لا تعني أنَّ الإيمان ضئيل على الإطلاق. لا تهتموا بغير المؤمنين. انظروا إلى الذين يؤمنون حقًّا وسترون ما يَسْتَمْتِعُون به من خلال إيمانهم. الإيمان المسيحي ليس نظامًا فلسفيًّا ولكنه طريقة **المسيح**، كإله وإنسان، لإصلاح الساقطين بنعمة **الرُّوح القُدُس**. لذا انظروا بعناية إلى الذين يسيرون على خطى **المسيح**. وسوف ترون كيف ينمون تدريجيًّا، وكيف ينضجون روحيًّا وكيف يصبحون عظماء، حتى ولو كانوا غير مهمين بنظر بقيَّة العالم.

خذوا **القديس سيرافيم ساروف** كمثال. كان رجلًا بسيطًا غير متعلِّم. أيُّ سُمُوٍ قد بلغه؟ بكلمة أوقف أفواه غير المؤمنين الذين كانوا مقروئين على نطاق واسع: «بِلِ اخْتَارَ اللهُ جُهَّالَ الْعَالَمِ لِيُخْزِيَ الْحُكَمَاءَ. وَاخْتَارَ اللهُ ضُعَفَاءَ الْعَالَمِ لِيُخْزِيَ الأَقْوِيَاءَ. وَاخْتَارَ اللهُ أَدْنِيَاءَ الْعَالَمِ وَالْمُزْدَرَى وَغَيْرَ الْمَوْجُودِ لِيُبْطِلَ الْمَوْجُودَ» (١ كورنثوس ١: ٢٧-٢٨). هكذا تتجلَّى **النعمة الإلهيَّة** في كل مَن يَسْتَسْلِم لها.

لذلك يدعوكم الرَّبُّ إلى الإيمان. يريد خلاصكم. وستخلُصون إذا استمعتم إلى صوته واتَّبعتموه بثباتٍ دون تردُّد. مِنْ أجلِ مَنْ يحبُّكم كثيرًا دوسوا كُلَّ شَكٍّ. وبهذا تقدِّمون له أكبر تضحية وتُكافِؤون بسخاءٍ. **إنَّ الشُّكوك هي حشائش زرعها العدو** في حقل روحكم بين سنابل القمح. لماذا تسمحون له بأنْ يُدَمِّرَكُم؟ اطرُدوه واقتربوا من **المخلِّص** الذي يمد يده إليكم بحنان. تَواضعوا، لأنَّ الله، كما قلت، يكشف نفسه للمتواضع فقط. صَلُّوا لأنَّ صلاتكم تُسَيِّجُكُم وتحميكم من **هجمات العدو**. واتخذوا قرارًا حازمًا: لا تُفَكِّروا في أيِّ شَكٍّ. بمجرد ظهور الشُّكوك، اطرحوها مِنْ عقولكم دون أي مزيد مِنَ اللغط، بغض النظر عن مدى معقوليَّة ما تبدو عليه. بهذه الطريقة، **ستضعون حدًّا لجميع مكائد العدو**.

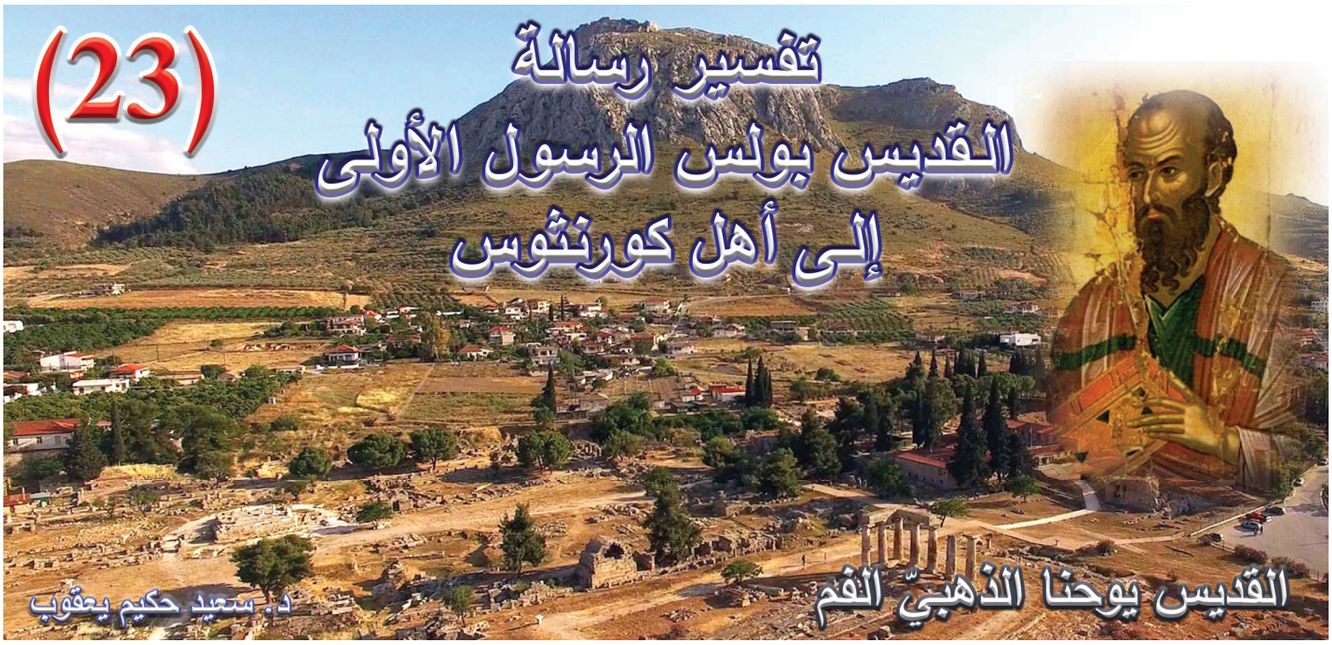

الإصحاح الثالث

العظة العاشرة (١كو٣:١٨ – ٤:٢)

«لاَ يَخْدَعَنَّ أَحَدٌ نَفْسَهُ. إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَظُنُّ أَنَّهُ حَكِيمٌ بَيْنَكُمْ فِي هذَا الدَّهْرِ، فَلْيَصِرْ جَاهِلًا لِكَيْ يَصِيرَ حَكِيمًا! لأَنَّ حِكْمَةَ هذَا الْعَالَمِ هِيَ جَهَالَةٌ عِنْدَ اللهِ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «الآخِذُ الْحُكَمَاءَ بِمَكْرِهِمْ.» (١كو٣:١٨-١٩).

١- وبعد أنْ تَحدَّثَ عن الاتهام المُوَجَّه ضِدَّ الزَّاني قبل أنْ تأتي اللحظة المناسبة، وبعدما ألْمَحَ إلى ذلك بإيجاز، واوخز ضميره، أسرَعَ أيضًا لخوضِ المعركة ضِدَّ **حكمة العالم**، ولإدانة أولئك المنتفخين بهذه الحكمة، الذين قَسَّموا الكنيسة.

ولكي يُكْمِل ما قد تَرَكَهُ، ولكي يوجز الموضوع بدِقَّةٍ أيضًا، نجده فيما بعد وقد استخدَمَ لغةً قاسيةً **ضِدَّ الزَّاني**، بعدما ألقَى بِسِهامِهِ من خلال كُلِّ ما قاله سابقًا، لأنَّه حقًّا يجب أنْ «لاَ يَخْدَعَنَّ أَحَدٌ نَفْسَهُ»، وهو يتوجَّه بشكلٍ أساسي ضدَّ ذلك (**الزَّاني**) الذي سبقَ واستحوذَ عليه الخوف، بل إنَّهُ بحديثه عن القَشِّ، كانَ يُلَمِّح أساسًا إلى ذلك **الزَّاني**، مثلما يقول أيضًا: « أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ هَيْكَلُ اللهِ، وَرُوحُ اللهِ يَسْكُنُ فِيكُمْ؟» (١ كو ٣: ١٦).

بمعنى **أنَّ الخوفَ من الجحيم**، وقيمة الإنسان باعتباره هيكل الله، عادةً ما يكونان سببًا في ابتعادنا عن **ارتكاب الخطيَّة**. فعندما نُفكِّر جيِّدًا في الجحيم الذي يعقب الخطيَّة، وعندما نُدرك قيمتنا لدى الله، فإنَّنا لا نعود نفعل الشَّرّ. إذًا باستخدامه التشبيه بالعُشبِ وبالقَشِّ، قد أثارَ الخوف بِالنفوس. وهو عندما يذكُر قيمة أصلهم النبيل، جعلهم يخجلون، وهو بهذا يحاول أنْ يجعل فاقدي الحسِّ أفضَل، من خلال الوسيلة الأولى (**الخوف من الجحيم**)، وبالوسيلة الثانية (**قيمة الإنسان لدى الله**)، ويجعلهم أرَقَّ وأَلْطَفَ. يقول: «لاَ يَخْدَعَنَّ أَحَدٌ نَفْسَهُ»، «إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَظُنُّ أَنَّهُ حَكِيمٌ بَيْنَكُمْ فِي هذَا الدَّهْرِ، فَلْيَصِرْ جَاهِلًا». إنَّهُ يَحُثُّنا أنْ نصير أمواتًا عن العالم، وهذا الموت عن العالم لا يَضُر في شيءٍ، بل على العكس يُفيد، لأنَّهُ يُصبح سببًا للتمتُّع بالحياةِ الحقيقيَّة. وهكذا فهو يَحُثُّنا لنصير جهلاء بالنسبةِ لهذه الحياة، وحينئذ يُعطينا الحكمة الحقيقيَّة. فمن يُصبح جاهلًا أمام حكمة العالم، يستطيع أنْ يحتقر حكمة هذا العالم، وهو واثقٌ وموقن أنَّهُ لا شيء يمكن أنْ ينفعه من هذه الحِكمة العالميَّة. لكي يربح الإيمان. تمامًا مثلما أنَّ الفقر الاختياري، يُعتبر طريقًا للغِنَى الإلهيّ، هكذا الاتضاع هو طريقٌ للسُمُوِّ والارتفاع، وأنَّ احتقار المجد، يجلب المجد، وهكذا أيضًا حين يصير المرء جاهلًا، فإنَّه يُصبح أَحْكَمَ من الجميع.

ولماذا لم يَقُل: « **ليُلقي عنه حكمة العالم**»، بل قال: «فَلْيَصِرْ جَاهِلًا»، قال هذا، لكي يُظهِر **الاحتقار** التَّام تُجاه حكمة العالم. لأنَّ عبارة انزع عنك حكمة العالم، لا تتساوى في المعنى مع قوله: « فَلْيَصِرْ جَاهِلًا». وبشكلٍ عام فهو يُدَرِّبنا على ألَّا نستحي ممَّا قد يبدو بسيطًا في إيماننا، لأنَّ هذا الإيمان البسيط يتجاوز كثيرًا ما للعالم من حكمة، بل ويزدري بها. ولهذا تحديدًا فهو لا يخشى الكلمات والتعابير، لأنَّ لديه قناعة بقوَّة هذه الأمور الإيمانيَّة. تمامًا مثل كلمة الصليب، فبينما تُعتَبر عند البعض موضوع عثرة واستهجان، صارت سببًا لخيرات لا حَصرَ لها، ومصدرًا وأَصلًا لمجدٍ لا يمكن وصفه، وهكذا فالأمور التي تُعتبَر جهالة، قد صارت لنا سبب حكمة. تمامًا مثل الذي تعلَّمَ أمورًا خاطئة، فإذا لم يتعلَّم كُلَّ شيء، وإنْ لم يجعل نفسه صالحة ونقيَّة أمام الله الذي سيملأها بالمعرفَةِ الجديدة، فإنَّه لنْ يتعلَّم أيَّ شيءٍ مِنْ تلك المعارف الواضحة المستقيمة. وهذا ما يحدث مع حكمة العالم، فإذا لم تنزع عنك كُلَّ ما يتعلَّق بهذه الحكمة، وإنْ لم تُنَقِّ فكرك، وإنْ لم تُسَلِّم نفسك للإيمان ببساطة، فلن تتعلَّم بدقَّة، فإنَّ الذين يعانون مِنْ ضَعف النَظَر، إنْ لم يُعلِقوا عيونهم، وإنْ لم يعتَمِدُوا على مُساعدةِ الآخرين، بل اكتفوا بإمكانيَّة عيونهم على الرؤية الضعيفة، فسوفَ يقعون في أخطاء أكثر ممَّا لفاقدي البَصَر. وسيقول البَعض كيف يكون ممكنًا للمرءِ أنْ يرفض هذه الحكمة العالميَّة؟ الردُّ هو عدم تطبيق مبادئها.

وبعد ذلك لأنَّه حثَّهم بكُلِّ قوَّة ليبتعدوا عن حكمة العالم، يُقَدِّم

المبرِّر، قائلًا: «لأَنَّ حِكْمَةَ هذَا الْعَالَمِ هِيَ جَهَالَةٌ عِنْدَ اللهِ». أيَّها ليست فقط غير نافعة على الإطلاق، بل هي **عائق**. إذًا ينبغي أنْ نبتعد عن هذه الحكمة، لأنَّها بالحقِّ هي حكمة ضارَّة وغير نافعة. أرأيتَ كيف أنَّهُ يُعلن نُصرتَهُ، مُبَرهِنًا على أنَّها ليس فقط لنْ تنفعنا في شيءٍ، بل إنَّها تُمَثِّلُ عائقًا لنا ؟ ولم يَكتَفِ بِحُجَجِهِ هو، بل أضافَ أيضًا شهادة أُخرى، قائلًا: «الآخِذُ الْحُكَمَاءَ بِمَكْرِهِمْ» . فسواء كانَ الأمرُ خاصًّا بالحُكماء الذين يسلكون بِمَكرِهِم، أم بِمَنْ يُمارس مكرهم، فهذا يعني أنَّهُ يُخضِعهم ويَقهَرُهُم بنفسِ أسلِحَتهم. أي لأنَّهم اعتمدوا على حكمتهم في محاولاتهم التي تهدف إلى عدم احتياجهم لله، فقد برْهَنَ لهم مِنْ خلال هذه الحكمة ذاتها، أنَّ لهم احتياجًا كبيرًا لله. كيف وبأيِّ طريقة؟ ذلك لأنَّهم بعدما صاروا جُهلاء بسبب هذه الحكمة، فإنَّهم انهزموا بها. بمعنى أنَّ كُلَّ الذين اعتقدوا بأنْ ليسَ لهم احتياجٍ لله، وجدُوا أنفسهم في احتياجٍ كبيرٍ إليه. حتى ظهروا أقَلَّ بكثيرٍ مِنَ الصَّيادين، والجُهَّال، وبعد ذلك احتاجوا إلى أولئك الجُهَّال. ولذلك يقول: «الآخِذُ الْحُكَمَاءَ بِمَكْرِهِمْ.» . فقوله: «سأبيد حكمة هذا العالم»، يُظهر أنَّ هذه الحكمة لم تحمل أيَّ شيءٍ نافع، أمَّا قوله: «الآخِذُ الْحُكَمَاءَ بِمَكْرِهِمْ.» . فهو يُدَلِّلُ على قوَّة الله.

٢– وبعد ذلك يُشير إلى شهادةٍ أُخرى ويُحَدِّد الطريقة التي بها يغلِبُ حُكماء هذا العالم، إذ يقول:

وَأَيْضًا: «الرَّبُّ يَعْلَمُ أَفْكَارَ الْحُكَمَاءِ أَنَّهَا بَاطِلَةٌ» (١ كو ٣: ٢٠).

فعندما يكون رأي أولئك الحُكماء، هو فكر الحكمة اللانهائيَّة، وعندما تنكشف أفكار مثل هؤلاء، فأيُّ دليل آخر تطلبه لتكتشف جهلهم التَّام؟ لأنَّ أحكام البَشَر كثيرًا ما تُخطىء في موضوعات شَتَّى، أمَّا حُكم الله في الموضوعات كافَّة، فهو حكيمٌ مُدرَك ونزيه. إذًا بعدما قدَّمَ الحُكمَ الإلهيَّ البَهيَّ والفائقَ، نجده يُشَدِّد مِنْ لهجته في الحديث، إذْ عادَ متوجِّهًا به إلى الرعيَّة قائلًا:

«إِذًا لاَ يَفْتَخِرَنَّ أَحَدٌ بِالنَّاسِ! فَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ لَكُمْ» (١ كو ٣: ٢١).

يعودُ مرَّةً أُخرى إلى الموضوعِ السَّابق، مُظهِرًا أنَّهُ لا ينبغي أنْ تفتخر حتى في الأمور الرُّوحيَّة، لأنَّنا بالحَقِّ ليسَ لدينا أيُّ شيء في أنفسنا (لنفتخر به). فمادام أنَّ حكمة العالم هي حكمة ضارَّة، وإنَّكم لم تُقَدِّموا الرُّوحيات، فكيفَ يحقُّ لكَ أنْ تفتخرَ، أو مِنْ أينَ لكَ بهذا الحقِّ في الافتخارِ؟ وبالنسبةِ لحكمة العالم، يقول: «لاَ يَخْدَعَنَّ أَحَدٌ نَفْسَهُ»، لأنَّهم يفتخرون بأمورٍ ضارَّة. ولكن لأنَّ الأمرَ هنا يحمل فائدة، يقول: «لاَ يَفْتَخِرَنَّ أَحَدٌ ». وحديثه هنا أكثر رِقَّة.

«أَبُولُسُ، أَمْ أَبُلُّوسُ، أَمْ صَفَا، أَمِ الْعَالَمُ، أَمِ الْحَيَاةُ، أَمِ الْمَوْتُ، أَمِ الأَشْيَاءُ الْحَاضِرَةُ، أَمِ الْمُسْتَقْبِلَةُ. كُلُّ شَيْءٍ لَكُمْ. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلِلْمَسِيحِ، وَالْمَسِيحُ لِلهِ.» (١ كو٣: ٢٢-٢٣).

ولأنَّه هاجَمَ أولئك (المفتخرين بحكمتهم)، بِشِدَّةٍ. نجده مرَّة أُخرى يُشَدِّد مِنْ لهجتِهِ وقد سبقَ وقال: «نَحْنُ عَامِلاَنِ مَعَ اللهِ» (١ كو٣: ٩)، وبكلام كثير كان يُشَجِّعهم، وهنا أيضًا يقول: « كُلَّ شَيْءٍ لَكُمْ»، ويُدين افتخار المعلِّمين، ويُبرهن على أنَّ هؤلاء ليس فقط لم يقدِّموا أيَّ هبة للمؤمنين، بل هم أنفسهم مدينون بالفضلِ لهؤلاء. لأنَّهُ، بسببهم، صاروا معلِّمين، ونالوا النعمة. ولكن لأنَّه رأى أنَّ المؤمنين سيفتخرون، لذلك نزع هذا الدَّاء من جذوره، بقوله: « كما أَعطى الرَّبُّ لكُلٍّ واحد»، وأنَّ «الله الذي يُنَمِّي»، حتى أنَّه لا ينبغي أنْ يفتخر المعلمون كأنَّهم هُم الذين يمنحون، ولا أيضًا المؤمنين حين يسمعون قوله: «كُلُّ شيءٍ لكم». لأنَّه بالحَقِّ، حتى وإنْ حدث شيء لخيركم، فإنَّ كُلَّ شيءٍ مِنَ الله.

أَرْجُو أنْ تلحظَ كيف أنَّه أَصَرَّ على عدم وضع اسمهِ واسم بطرس حتى النهاية. وماذا يعني بقوله: «أم الموت؟» يعني أنَّهم إنْ ماتوا، فهم يموتون لأجلكم، ويتعرَّضون للمخاطر لأجل خلاصكم. أرأيتَ أنَّهُ يعود ليجعل فكر التلاميذ مُتَّضِعًا، ويسمو بفكر المعلِّمين؟ إنَّه يتكلَّم هكذا كمن يتوَجَّه إلى أطفال من أصلٍ نبيل، لديهم مُرَبُّون، وسوفَ يَرِثُونَ كُلَّ شيء. ويمكننا أنْ نطرحَ هذا الكلام بطريقةٍ أُخرى، ونقول: إنَّ **موت آدم** قد حدثَ لخيرنا، حتى تُصبح لنا فرصة لننتفع به، كما أنَّ **موت المسيح** أيضًا هو من أجلِ خلاصنا.

يقول: «وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلِلْمَسِيحِ، وَالْمَسِيحُ لِلهِ». بمعنى آخر نحنُ **للمسيح، والمسيح لله**، وأنَّ العالم هو عالمنا نحنُ. أي أنَّنا **للمسيح**، أننا عمل **المسيح** وأنَّ **المسيح لله**. كابن حقيقي بالطبيعة، وليس كعمل، كما أنَّ العالم ليس عالمنا، بمعنى أنَّنا لم نُشارك في وجوده. فإنْ كانت الكلمة هي واحدة، إلَّا أنَّ المعنى مختلف، بمعنى أنَّ العالم هو مُلكٌ لنا، لأنَّه صارَ لنا، أي لأجلنا قد خُلِقَ، وأنَّ **المسيح لله** لأنَّه مولود من **الآب**، إذ هو أبوه، ونحن **للمسيح** لأنَّهُ هو الذي خلقنا وأوجدنا في هذه الحياة. ومادام أنَّ أولئك (**بولس – أبولس – صفا**) هم خدَّام لكم، فلماذا تعملون بشكل عكسي، آخذين إسماءَكم من أولئك، وليس من **المسيح** ومن الله؟

فنُعطي المجد والإكرام والعزَّة والسجود **للآب والابن والرُّوح القُدُس** إلى الأبدِ الآبدين، آمين.

(يتبع في العدد القادم)

توزّع هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح

المحرّر المسؤول: هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

كفركنا – الشارع الرئيسي – ص . ب . ٦١٩

e-mail: light_christ@yahoo.com

http://lightchrist.org/bulletins.html

لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:

IBAN: IL480127260000000111122